إِتمَامُ المَأمُولِ

بشَرْحِ

ثلاثة الأصول

إعداد

د. عبد العزيز بن ريس الريس
المشرف العام على شبكة الإسلام العتيق

١٤٤٣هـ

المحتويات

مقدمة المؤلف ٥

مراد المصنف من رسالة الأصول الثلاثة ٧

العلم الممدوح في الكتاب والسنة ٩

الغلو في العلوم الدنيوية ١٠

الراحة التي يجدها المشتغل بالعلم الشرعي ١١

إهمال العلم الشرعي كان من أهم أسباب تفشّي الزندقة والكفر ١١

الناس في العلم ثلاثة: مجتهد، ومقلد، ومُتَّبع ١٣

فرقٌ بين تقليد المتون الفقهية وتقليد العالم ١٦

خطأ الاستدلال بحديث سؤال القبر على حرمة التقليد ١٧

متى تكون الدعوة واجبة ١٩

اقتران الدعوة بالصبر ٢٠

معنى كلمة الشافعي في سورة العصر ٢٢

الدعوة بلا علم ضلال، ولو اهتدى من اهتدى ٢٢

وسائل الدعوة توقيفية أو غير توقيفية؟ ٢٣

بعض الأمثلة على وسائل الدعوة البدعية ٢٣

الفرق بين البدع والمصالح المرسلة ٢٨

بداءة التعليق على الأصول الثلاثة ٣٠

ملخص الأصول الثلاثة ٣١

موقف كفار قريش من توحيد الربوبية ٣١
موقف كفار قريش من البعث والنشور ٣١
الولاء والبراء على التوحيد ٣٢
ذم التحزُّب على غير الدين ٣٣
المُحادَّة لله قسمان ٣٥
وجوب هجر ومُعاداة الكفار وأهل البدع ٣٥
أخطأ في هجران أهل البدع طائفتان ٣٦
شبهة: كيف نبغض الكفار وقد أباح الله الزواج من الكتابيات؟ ٣٧
معنى الحنيفية ٣٩
معنى العبادة ٤٠
أهمية ضبط معنى العبادة ٤٢
أهمية التوحيد وخطورة الشرك ٤٣
أسئلة القبر الثلاثة ٤٦
معرفة العبد ربه ٤٩
الفرق بين الآيات والمخلوقات ٥٠
العلاقة بين توحيد الربوبية والألوهية ٥١
كشف شبهة المشركين المتأخرين في تفسير التوحيد بالربوبية ٥٣
أنواع العبادات ٥٧
دعاء العبادة ودعاء المسألة ٥٧
الأفعال المُتعبَّد بها نوعان ٥٨
معنى قوله سبحانه: ﴿لا برهان له به﴾ ٦٢

شبهة تجويز دعاء غير الله استدلالًا بقولنا في التشهد: (السلام عليكم أيها النبيّ) ٦٤
تنبيه: إذا أُثبت لله شيء فلا يكون خاصًّا به إلا بدليل ٦٥
هل يجوز التوكل على غير الله؟ ٦٩
الفرق بين الخشية والخوف ٧٠
دعاء (أعوذ بكلمات الله التامات) يدلُّ على أنَّ كلام الله غير مخلوق ٧٣
التفريق بين الذبح لغير الله والذبح للضيف ٧٥
النذر عبادة، ولازم جعله مكروهًا أن يكون صرفه لغير الله ليس شركًا ٧٦
التعليق على بعض الأدلة التي يُستدل بها على جواز إطلاق أمور على الله وعلى غيره ٧٧
الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام ٧٩
معنى الإسلام ٧٩
أركان الإسلام ٨٢
معنى (لا إله إلا الله) ٨٣
تفسير كلمة التوحيد في القرآن ٨٤
معنى شهادة أن محمدًا رسول الله ٨٥
تنبيه على تعريف شهادة أنّ محمدًا رسول الله ٨٦
الفرق بين عمل القلب وقول القلب ٨٨
الأصل في العبادات الحظر والمنع ٩٠
السنة التَّركية ٩٠
إذا تعارض النص العام أو القياس مع السنة التَّركية فيكون فاسدًا ٩٢
السنة التَّركية نوعان ٩٢
مرتبة الإيمان ومعناه ٩٥

أركان الإيمان ٩٦
مرتبة الإحسان ومعناه ٩٨
أركان الإحسان ٩٩
الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ ١٠١
الرد على دعوى أنَّ الإمام المجدد لا يُعظِّم النبي ﷺ ١٠١
نسب النبي ﷺ ١٠٣
مولد النبي ﷺ ١٠٤
بعثة النبي ﷺ ١٠٤
من أساليب الإمام المجدد في الدعوة للتوحيد ١٠٥
معراج النبي ﷺ إلى السماء ١٠٨
الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ١٠٩
حكم الهجرة ١١٠
ضابط إظهار الدين ١١١
حكم الهجرة فيمن استطاع إظهار دينه في بلد الكفار ١١١
وفاة النبي ﷺ ١١٣
بُعث النبي ﷺ للناس كافة، ولا خير أو شر إلا بيَّنه لأمته ١١٣
إكمال الدين ١١٥
البعث بعد الموت ١١٧
سبب ذكر المصنف لمسائل البعث والنشور ١١٧
الحجة تقوم بإرسال الرسل لا بالعقل ولا بالفطرة ١١٨
أول الرسل وأول الأنبياء ١١٨

معنى الطاغوت ١٢١
بعض أنواع الطواغيت..... ١٢٢
تنبيه: اعتقاد أنَّ علم الغيب خاص بالله لا يتنافى مع دلالة الرؤى والمنامات ١٢٤
أنواع الفراسة..... ١٢٥
الحكم بغير ما أنزل الله..... ١٢٥
لا يصح أن يُنسب للإمام المجدد التكفير بمطلق الحكم بغير ما أنزل الله ١٢٦
الرد على استدلالات دعاة حرية الاعتقاد..... ١٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد ألقيت درسًا في شرح رسالة (**الأصول الثلاثة**) لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في عام أربعٍ وثلاثين وأربعمائة وألف من هجرة النبي ﷺ، فقام بتفريغه بعض الإخوة ووضعوا له فهرسًا، ثم قمت بمراجعته مرةً أخرى وأضفت عليه بعض التعديلات وأسميته: (**إتمام المأمول شرح ثلاثة الأصول**).

أسأل الله أن ينفع بهذا الشرح وأن يجعله ذخرًا يوم لقائه، إنه الرحمن الرحيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. عبد العزيز بن ريس الريس

المشرف على موقع الإسلام العتيق

http://islamancient.com

١٣ / ٢ / ١٤٤٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(المتن)

يقول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في رسالة **"الأصول الثلاثة وأدلتها"**:

اعلم رحمك الله. أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

الأولى: العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

الثانية: العمل به.

الثالثة: الدعوة إليه.

الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

والدليل قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر ١: ٣].

قال الشافعي. رحمه الله تعالى " لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم ".

وقال البخاري -رحمه الله- تعالى : باب العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِك﴾ [محمد: من الآية١٩] **فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.**

(الشرح)

المراد بـ" **ثلاثة الأصول** " معرفة الله ثم معرفة نبيه ﷺ ثم معرفة دين الإسلام بالأدلة.

وقد ذكر الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الأصول الثلاثة إجمالًا ثم فصلها بعد ذلك، وقبل رسالة " **ثلاثة الأصول** " ضم إليها مسائل أربع ثم مسائل ثلاث.

وهذه المسائل الأربع ثم المسائل الثلاث، يحتمل ألا يكون ألحقها الإمام المصنف المجدد بالأصول الثلاثة بل بعض تلاميذه، قال ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**وذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الأصول الثلاثة مجملة، ثم ذكرها بعد ذلك مفصلة أصلا أصلا، تتميما للفائدة، وتنشيطا للقارئ، فإنه إذا عرفها مجملة وعرف ألفاظها وضبطها بقيَ متشوقا إلى معرفة معانيها وهي المقصود بهذه النبذة وما تقدمها من المسائل فلعل بعض تلاميذه قرنها بها**".[1]

(١) حاشية الأصول الثلاثة (ص: ٤٠)

وسواء كان الملحق لها الإمام المصنف أو غيره، فإنه من المهم دراسة هذه المسائل الأربع ثم دراسة المسائل الثلاث ثم ثلاثة الأصول التي هي المقصد.

والمسائل الأربع كالتالي:

المسألة الأولى: العلم.

والمسألة الثانية: العمل بهذا العلم.

والمسألة الثالثة: الدعوة إليه.

والمسألة الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

هذه هي المسائل الأربع، وهي سهلةٌ للغاية واستدل الإمام المصنف عليها بسورة العصر قال سبحانه: ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾، إلا من جمع هذه الصفات والمسائل الأربع.

الأولى: العلم: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، ويراد به العلم.

الثانية: العمل به ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾.

والثالثة: الدعوة إليه ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ**﴾، أي ينصح بعضهم بعضًا، ويستوصي بعضهم ببعض في الحق وهذا هو الدعوة.

المسألة الرابعة: ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾، أي صبروا على تبليغ الدين والدعوة إلى الله سبحانه، هذه هي المسائل الأربع التي ذكرت قبل الأصول الثلاثة وقبل المسائل الثلاث.

وفي المسألة الأولى ذكر العلم، والمراد بالعلم الممدوح في الكتاب والسنة العلم الشرعي، بيّن هذا الإمام ابن القيم في كتاب **" مفتاح دار السعادة "** وابن قاسم في حاشيته، وهو الذي أرسل الله به محمدًا ﷺ وقد بين ابن القيم في كتابه **" مفتاح دار السعادة "** أنه يخطئ من يقول: إن تعلم العلوم الدنيوية كالطب والهندسة وغيرها من باب فروض الكفايات، وذكر أنه ليس هناك ما يدل على أن تعلم هذه العلوم الدنيوية من فروض الكفايات، قارن كلام الإمام ابن القيم هذا بغُلُوِّ أهل عصرنا في هذه العلوم الدنيوية حتى إن بعض الطيبين والصالحين تأثروا فصار عندهم غلو في ذلك، إما أنهم أرادوا رفعةً دنيوية -وهذا هو العلو في الأرض-، أو أرادوا مصلحةً دنيوية بكثرة مالٍ وغير ذلك، فكم رأينا شبابًا متدينين دخلوا هذه التخصصات ومع مرور

الأيام تغيروا في دينهم واستقامتهم بسبب الذين يعاشرون ممن أكثر حديثهم وهمهم الدنيا، فامتلأت قلوبهم حبًا للدنيا تبعًا لمن يعاشرون.

ومن صور الغلو في العلوم الدنيوية أن الناس صاروا يحثون الطلاب الأذكياء أن يتوجهوا لهذه التخصصات الدنيوية، وتأثر بهذا بعض المتدينين فصاروا يدعون الأذكياء وأصحاب الهمم العالية لذلك، وبعضهم قد يكون له مرادٌ حزبيٌ وهو أن يسيطر على جميع الجهات الدنيوية والدينية حتى يصلوا إلى المجتمع فيبثوا حزبياتهم باسم خدمة الإسلام ونشر الدين إلى غير ذلك.

والمقصود أن العلم الذي امتدحه الله بقوله: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [المجادلة: ١١] وامتدحه النبي ﷺ في سنته ففي **"الصحيحين"** عن معاوية بن أبي سفيان عن النبي ﷺ قال: «**من يرد الله به خير يفقه في الدين**»و المراد بذلك علم الوحي، الذي قال الله فيه: ﴿**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: ١٢٠] وهو العلم بالله وبدينه وبما جاءت به رسله وما يريده الله منا في كتابه وسنة نبينا محمد ﷺ، هذا هو العلم الذي ينبغي أن نتسابق فيه.

واعلموا أن من فتح عليه في هذا العلم فوالله لو كان أفقر الناس فإنه من أحسن الناس حالًا؛ لأن قلبه قد امتلأ بتقوى الله وبدينه وبمعرفة الوحي أما الدنيا فهي سريعة الأيام والانقضاء.

فأقبلوا على الله وعلى تعلم دينه مع إحسان الظن بالله، فمن قدر له شيء من الدنيا والله ليأخذنه، ومن لم يقدر له شيء من الدنيا فلن يأخذه ولو فعل ما فعل.

المهم الاشتغال بما خلقنا من أجله، وينبغي أن نحث الناس على أن يشجعوا أولادهم وشباب المسلمين على التسابق في طلب العلم الشرعي حتى نفوز برضا الله تعالى.

وليس معنى هذا حرمة العلوم الدنيوية بل هي خير لكن لا مقارنة بين أجر العلم الشرعي وغيره وأيضًا فإن حاجة المسلمين للعلم الشرعي أكثر وأكثر بل لما اشتغل المسلمون بالعلوم الدنيوية مع جهل بالعلوم الشرعية دخلت عليهم عن طريق هذه العلوم ضلالات، قال ابن تيمية: **"وعاش السلف فيها برهة طويلة ثم خفي بعض نور النبوة؛ فعرب بعض كتب الأعاجم الفلاسفة من الروم والفرس والهند في أثناء الدولة العباسية. ثم طلبت كتبهم في دولة المأمون من بلاد الروم فعربت ودرسها الناس وظهر بسبب ذلك من البدع ما**

ظهر وكان أكثر ما ظهر من علومهم الرياضية كالحساب والهيئة أو الطبيعة كالطب أو المنطقية"[1].

ومن أشهر الأطباء الذين أضروا بالإسلام ابن سينا حتى قال ابن صلاح في ذَمِّه: **"ولم يكن من العلماء بل كان شيطانًا من شياطين الإنس وكان حيران في كثير من أمره"**[2]

وقال ابن القيم عن ابن سينا:**"إمام الملحدين ابن سينا -ثم قال- وبالجملة فكان هذا الملحد هو وأتباعه من الملحدين الكافرين بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر "**[3].

فأمثال هؤلاء أدخلوا على الإسلام بدعًا وزندقةً وإلحادًا باسم الإسلام وهم أطباء، فراج أمرهم بين الناس، فرحم الله امرءًا عرف قدر نفسه، ولم يتكلم في غير فنِّه فمن تكلم في غير فنه أتى بالعجائب، ولو أن الطبيب لزم تخصصه لكان خيرًا له وللناس لكن يخطئ بعضهم ويظن أن مكانته عند الناس تسوغ له أن يتكلم في أحكام الشريعة بغير علمٍ ولا وحيٍ.

---

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٨٤)

(٣) فتاوى ابن الصلاح (١/ ٢٠٩)

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٢٦٧)

فإنَّ العلم ميراث يتناقله العلماء، لا معلومات ونتفات من علم يحصلها قارئ من كتاب أو كتابين ثم يخوض في مسائل، ويناقش الجهال حتى يرى نفسه فائقًا، فيصاب بعجبٍ وغرور فيفسد الشريعة باسم العلم والهدى والحماسة للدين وغير ذلك.

إذن تعريف العلم هو ما قال فيه المصنف: معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

وانتبه إلى قوله: **(العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)**، فالمراد بالعلم هو الوحي وليس ما عداه، **هذا الأول.**

والثاني: قوله: بالأدلة، هذا يفيدنا أن ما لم يكن مبنيًا على دليل فليس علمًا، لذا أجمع العلماء أن المقلد ليس عالمًا

قال ابن عبد البر: **" وقال أهل العلم والنظر: حد العلم التبيين وإدراك المعلوم على ما هو فيه، فمن بان له الشيء فقد علمه، قالوا: والمقلد لا علم له ولم يختلفوا في ذلك"**[1].

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٩٣)

وقال ابن القيم نقلًا عن ابن عبد البر على وجه الإقرار: **" قال أبو عمر وغيره من العلماء: أجمع الناس على أن المقلد ليس معدودا من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله، وهذا كما قال أبو عمر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد**

فقد تضمن هذان الإجماعان إخراج المتعصب بالهوى والمقلد الأعمى عن زمرة العلماء "[1].

وقال: **" لأنه ليس بعلم، والفتوى بغير علم حرام، ولا خلاف بين الناس أن التقليد ليس بعلم، وأن المقلد لا يطلق عليه اسم عالم "**[2].

والناس على مراتب ثلاث ذكر ذلك ابن عبد البر في كتابه **" جامع بيان العلم وفضله "** وأقره ابن القيم في كتابه **" أعلام الموقعين "فقال**: المرتبة الأولى هي المجتهد ثم المتبع ثم المقلد، والمجتهد هو الذي ينظر في الأدلة وعنده آلة اجتهاد، فيميز بين الدليل الراجح والمرجوح بآلة العلم، علمًا أن أهم علوم الآلة على الإطلاق للمجتهد هو علم أصول الفقه، فقد يكون المجتهد مقلدًا في الحديث لكن لا يصح من المجتهد أن يكون مقلدًا في علم أصول الفقه،

(٢) أعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٦)

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٣٦)

لأنه الأساس لكل مجتهد. ذكر هذا أبو المظفر السمعاني في القواطع والرازي في المحصول والشوكاني في كتابه **" إرشاد الفحول "**.

والمراد بعلم أصول الفقه هو أصول الفقه العملي لا النظري ولا الذي أدخله المتكلمون في علم أصول الفقه.

فإذًا أعلى مرتبة هي مرتبة الاجتهاد، وهي مرتبة النظر في الأدلة الشرعية والترجيح بينها.

وتليها مرتبة الإتباع كأن يقال: قال الشيخ ابن باز في هذه المسألة: إنها حرامٌ واستدل بكذا ففي هذه المرتبة يعرف حكم الشيخ ودليله فهذا يسمى إتباعًا.

وتليها مرتبة التقليد، وهي معرفة قول الشيخ دون دليله كأن يقال: قال الشيخ ابن باز: هذا حرام، أو قال الشيخ ابن عثيمين: هذا واجب، أو قال الألباني: هذا مكروه، بدون أن تعرف الأدلة، وهذا يعد تقليدًا، وهذا ليس عالمًا بالإجماع.

فعلى هذا لو حفظ إنسان متن**" زاد المستقنع "** عن ظهر قلب، ففي كل مسألة يقول لك ما في **" الزاد "** ثم يعطيك الحكم، فهذا يسمى مقلدًا ولا يسمى عالمًا بل لا يزال جاهلًا؛ لأنه لا يكون عالمًا حتى يعرف الحكم بدليله.

تنبيه مهم ودقيق: فرقٌ بين تقليد **" زاد المستقنع "** وتقليد الإمام أحمد أو ابن تيمية أو ابن باز أو الألباني أو ابن عثيمين وذلك أن أصحاب المتون يكتبون على الراجح في المذهب لا يكتب ما ترجح عنده من جهة الدليل فهو يكتب لتبيين الراجح على المذهب حتى يتعلم المذهب.

لذا ترجيحه وتعبده لله شيءٌ وتأليفه على المذهب شيءٌ آخر، أما الشيخ ابن باز ومن سبق ذكرهم فإنهم إذا تكلموا في مسألة يتكلمون فيما يظنونه راجحًا من مسائل العلم ومرادًا الله، لذلك يصح أن يقلد هؤلاء العلماء، لكن لا يصح أن تقلد هذه المتون الفقهية.

إذن الأمر الأول: العلم، وهو ما تقدم ذكره، لكن يرد هنا إشكالٌ وهو أن الإمام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: معرفة دين الإسلام بالأدلة، ومعنى هذا أنه لا يصح التقليد في الشريعة ومنهم من يقول: لا يصح التقليد في الاعتقاد، هذا ظاهر كلامه وهو قول الأشاعرة وهو أحد الأقوال عند المعتزلة وهم مختلفون في صحة التقليد في العقائد.

فقد قال: **(معرفة دين الإسلام بالأدلة)** والجواب على هذا أن مراد الإمام المصنف - والله أعلم- أن اتباع العامي للعالم الذي يثق فيه يعتبر اتباعًا للدليل، لأن قول العالم يعد دليلًا عند العامي.

فهو يقول: إن العالم يعرف دين الإسلام بالأدلة الشرعية المعروفة، والتي منها الكتاب والسنة والإجماع والقياس وقول الصحابي وشرع من قبلنا والاستصحاب، إلى آخره.

وغير العالم وهو العامي فقول العالم دليل بالنسبة له، ومن ظن أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريد أنه لا يصح التقليد في الاعتقاد فقد أخطأ خطأ بيِّنًا؛ لأن هذا قول أهل البدع، ومحاولة بعضهم أن يستدل على ذلك بما أخرج البخاري من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه يُسأل الإنسان في قبره من ربك؟ إلى آخره.

فيقول المنافق والكافر: ها ها لا أدري، فقال له: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمرزبةٍ من حديد.

فيقال: ليس حال هذا الرجل حال من أخذ مسألةً بلا دليلها، وإنما المراد حرم الجواب لكفره، ويوضح ذلك أمور ثلاثة:

الأمر الأول: أنه لو فرض أن كافرًا قبل أن يموت جلس يتحفظ الأدلة، فإنه لن يجيب في قبره؛ لأن الجواب في القبر على حسب الإيمان، وقيام الإنسان بدين الله سبحانه.

والجواب الثاني: لازم هذا أن من بنى اعتقاده على التقليد يكون كافرًا، يعني من أخذ الاعتقاد بلا دليل يكون كافرًا؛ لأن الحديث جعل القسمة ثنائيةً إما

مسلمٌ يجيب أو كافرٌ لا يجيب، وهذا خلاف عبارة الإمام المجدد فإنه قال: يجب، ولم يجعله شرطًا في الإيمان، فإذًا لا دلالة في حديث أنس على مراد المصنف؛ لأن ظاهر الدليل أنه يجعله شرطًا في الإيمان، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ جعله واجبًا لا شرطًا، والذي يستقيم مع الوجوب -ما تقدم ذكره- أنه إن كان عالمًا فباتباع الدليل، وإن كان مقلدًا فقول العالم يعد دليلًا له.

الجواب الثالث: أن الإمام المجدد المصلح من أشهر أئمة العصر في نصرة السنة والسلفية والقيام بدين الله، فكيف ينسب له قول الأشاعرة الضلال المبتدعة أو من هو أشد منهم أحد الأقوال عند المعتزلة بقول محتمل.

فإذًا العلم هو معرفة الله ومعرفة نبيه ودين الإسلام بالأدلة.

ثم ذكر الشيخ العمل، والعمل فيه تفصيل، فلمَّا قال الشيخ: يجب، دل على أنه يريد الأعمال الواجبة؛ لأن الأعمال قسمان من حيث الجملة، مستحبَّة وواجبة، والأعمال الواجبة نوعان:

١. نوع يجب على جميع الناس.
٢. ونوع يجب باختلاف حال الناس.

فمن كان لديه مالٌ فيجب عليه أن يتعلم أحكام الزكاة، ومن كان يبيع ويشتري يجب عليه أن يتعلم أحكام البيع والشراء بخلاف من ليس كذلك.

فعبارة الشيخ يجب أن تنصرف إلى الوجوب العيني أو الوجوب الذي يختلف حاله باختلاف الناس، والوجوب الذي يختلف حاله باختلاف الناس يتفرع عنه فرض الكفاية؛ لأن فرض الكفاية يجب على كل من يستطيع أن يقوم به، وليس على كل أحدٍ من أمة محمد ﷺ.

ثم قال المصنف بعد ذلك: **(ثالثًا: الدعوة إليه)**.

فالدعوة تختلف قد تكون واجبة في مثل من رأى منكرًا وجب عليه أن ينكره، أو علم منكرًا لا يستطيع أن ينكره إلا هو لاسيما إذا كان من الشبهات وفيها تلبيس على الناس ولم يقم به غيره وكان لديه آلة، واستطاع الانكار فيجب عليه أن ينكره، ومن الدعوة ما هو مستحبٌ وهو ما ليس كذلك.

ولشيخنا الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامٌ عظيم وهو أنه: **"عند قلة الدعاة، وكثرة المنكرات، وغلبة الجهل كحالنا اليوم، تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته"**. والناس في حاجة أن يعلموا أصول دينهم فما أكثر الجهلة حتى مع تدريس الدين بالمدارس النظامية فإن الجهل شديدٌ جدًا لأمرين:

الأول: أن بعض الناس يدرس العلوم الشرعية على أنها شيء نظامي ملزومٌ به فلا تقبل النفس عليه، وإن كان هذا أحسن ممن لا يدرس.

الثاني: انشغال الناس بأمور الدنيا.

لذا لابد أن نجتهد في تبليغ الناس دين الله، بكل ما نستطيع في مجالسنا وبيوتنا ونشغلهم بالعلم قدر الاستطاع بأسلوب مرغوب.

وبعد هذا قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الصبر على الأذى، فذكرَ الصبر لأن تبليغ دين الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرًا ما يكون مصحوبًا بمشاق، لأن فيه مخالفة ملذات الناس وأهوائهم؛ ولأن الناس أحيانًا يظنون أن الناصح يريد علوًا عليهم، وهم لا يريدون أحدًا أن يرتفع عليهم فيعارضون الناصح ويحاولون أن يجهلوه وينتقصوه فالناصح مأمور أن يحسن نيته ما بين حينٍ وآخر، وأن يجاهد نفسه في ذلك، وأن يصبر على بلاغ الدين: لذا قال الله تعالى في وصية لقمان: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ [لقمان: ١٧]

قال شيخ الإسلام: **"ولا بد أيضا أن يكون حليما صبورا على الأذى: فإنه لا بد أن يحصل له أذى؛ فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح: كما قال لقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ**

ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] **ولهذا أمر الله الرسل - وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - بالصبر، كقوله لخاتم الرسل..."**(١)

ولا يصبر المؤمن إلا على ما يرجو من الله ﷻ ثوابه، وهذا الذي يؤنس المؤمن، لذلك لا ينبغي له أن يسخط، ولا أن يغضب لنفسه، وإنما يغضب لعدم قبول الناس الحق، ومع ذلك لا ينبغي له أن يبالغ في ذلك، كما قال ﷻ: ﴿**فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ**﴾، بل يبلِّغ ويحمد الله أنه أدى الواجب، والله يقول: ﴿**عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾، وبعض إخواننا يبالغ جدًا في هداية المدعوين حتى يقع في وسائل بدعية لأجل هدايتهم أو يتحسر ويتنكد ويعود عليه بالضعف، وهذا خطأ عظيم، فالمهم الاجتهاد في الدعوة مع انشراح صدرٍ، وسعيٍ لهدايتهم، فإن هداهم الله، فالحمد لله، وإن لم يهدهم فإن من الأنبياء من يأتي يوم القيامة وليس معه أحد، ففي الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد**»، هؤلاء أنبياء من الله نزل عليهم الوحي، فكيف بغيرهم؟

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ سورة العصر، وتقدم بيان وجه الدلالة من هذه السورة، ثم قال: قال الإمام الشافعي: لو ما أنزل الله حجةً على عباده إلا هذه

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية (ص: ١٩)

السورة لكفتهم، هذه العبارة ذكرها الإمام ابن القيم في كتابه **" مفتاح دار السعادة "** وفي غيره من كتبه، وابن كثير في تفسيره، بعبارة أدق من العبارة التي نقلها الإمام المجدد، ونصها: **" لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم"** وفي نقل ابن القيم: **لو تفكر الناس**...

هذه أبلغ من القول لكفتهم؛ لأن من كان يعلم أنه مطالب بالعلم والعمل وليس عنده أفراد للعلم ولا أفراد العمل لا يستطيع أن يقوم بذلك.

لذلك لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم، ولجعلتهم في اجتهادٍ للقيام بما عندهم من العلم والعمل.

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول البخاري: **(باب العلم قبل القول والعمل)** أي أنه لابد من العلم، وإن الدعوة بلا علم، ضلالٌ ولو اهتدى من اهتدى، فإن أهل السنة لا يقيسون صلاح الناس وفسادهم بنتائجهم، وإنما يقيسون ذلك بالنظر إلى أصولهم وطريقتهم.

فالكيف مقدمٌ على الكم، فإذا كان الكيف شرعيًا فحصل كم كثير، فهذا نورٌ على نور، فالكيف مقدمٌ على الكم، بخلاف هذه الدعوات الحركية، فإنها اشتغلت بالكم وغفلت عن الكيف، لذلك عندهم أن وسائل الدعوة غير توقيفية مطلقًا ويجوز أن يحدث فيه وسائل بشرط ألا يقع فيما هو منصوصٌ

على حرمته، بل بعضهم وقع حتى في المنصوص على حرمته باسم مصلحة الدعوة، وهذا من الخطأ العظيم أن يحدث الإنسان في دين الله ما شاء.

تنبيه: وسائل الدعوة منها توقيفية وغير توقيفية أي اجتهادية ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية كلامًا عظيمًا وهو يتكلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الوسائل، واستنبط منه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسألة وسائل الدعوة، لأن كلام ابن تيمية على الوسائل عمومًا، والألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخذ منه ما احتاج إليه وهو الكلام على وسائل الدعوة.

قال ما ملخصه: ينظر للوسيلة إن وجد المقتضي لفعلها، -أي: الدافع لفعلها- في عهد النبي ﷺ وأصحابه ولم يفعلوا، ولم يوجد مانع يمنعهم من فعله، ومع ذلك لم يفعلوه فهذه الوسيلة وسيلةٌ بدعية؛ لأنها لو كانت خيرًا لسبقونا إليها، لكن إن لم يوجد المقتضي في زمنهم أو وجد المقتضي لكن هناك مانعٌ يمنع من القيام بهذه الدعوة، فإن فعلنا لها مع وجود المقتضي وانتفاء المانع ليس بدعة ثم بين ابن تيمية أمرًا مهمًا وهو أن معاصي العباد وبعدهم عن الدين ليس مسوغًا لإحداث الوسائل بل العباد مأمورون أن يرجعوا إلى الله.

وأمثل بأمثلة يعرف به المراد:

المثال الأول: الإنشاد الذي يسمى إسلاميًا، فهم ينشدون حتى يرغبوا الناس في الخير والهدى والاستقامة، وهذه بدعة لوجود المقتضى وانتفاء المانع لا سيما بعد اتساع فتوحات الإسلام ودخل فيه من هو ضعيف الإيمان ممن يحتاج إلى مثل هذه الوسائل ولم يفعلوه مع استطاعتهم.

فإن قيل: قد أنشد الصحابة لمَّا قالوا: نحن الذين بايعوا محمدًا... ففي الصحيحين عن أنس بن مالك، قال: كان النبي ﷺ في مسير له، فحدا الحادي، فقال النبي ﷺ: «**ارفق يا أنجشة، ويحك بالقوارير**».

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه، قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم، ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الإسلام ما بقينا أبدًا

والنبي ﷺ يجيبهم ويقول:

«**اللهم إنه لا خير إلا خير الآخره... فبارك في الأنصار والمهاجره**»

فهؤلاء أنشدوا على وجه الإباحة لا على وجه التعبد وهداية الناس.

والإنشاد على وجه المباح لا إشكال فيه، لكن الإنشاد لأجل هداية الناس عبادة لا دليل عليها فتكون بدعة، ومما يؤكد أنهم يفعلونه تعبدًا أنهم يقولون في نهاية هذ الإنشاد نسأل الله أن يتقبل أعمالنا ... وهكذا، ويسمونها إسلامية.

فالإنشاد على وجه الدعوة وبدافع هداية الناس ونيل الأجر هو نوع من البدع كما تقدم.

المثال الثاني: التمثيل المسمى بالإسلامي إلا أن التمثيل أشد حرمةً لأن فيه كذبًا، فيقول: أنا محمد وهو ليس محمدًا، ويقول: أنا طبيب وهو ليس طبيبًا، ويقول: هو مريض وهو ليس مريضًا وهكذا، ولا يكاد يخلو التمثيل من كذب إلا شيئًا نادرًا، والنادر لا حكم له، وإنما العبرة بالغالب، ومع ذلك إن لم يكن فيه كذبٌ فاتخاذه وسيلة من وسائل الدعوة بدعةً، وهؤلاء الذين يمثلون يحتجون بأمورٍ تعجب لها ومنها أنهم يحتجون بما في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعًا: أنه جاء الملك بصورة الأقرع وجاء بصورة الأبرص والأعمى إلى آخر القصة المعروفة، فيقال: لا يصح الاستدلال بها لأمور:

الأول: أن تغير شكل الملك في الظاهر حقيقي فلهم ما ليس لنا.

الثاني: أن التكاليف الشرعية في حق الملائكة ليست كالتكاليف الشرعية في حقنا، فلهم ما ليس لنا فكيف نقيس تكاليفنا على تكاليفهم؟!

الثالث: لا يصح قياس عالم الشهادة على عالم الغيب فإن عالم الملائكة عالم غيبٍ.

تنبيه: أول من أتى بهذا التمثيل -فيما أعلم- جماعة الإخوان المسلمين، فقد أخذوه عمن قبلهم من الكفار، فأظهروه بلباس الدين ونحن مبتلون في هذا الزمن بالترويج باسم إسلامية وهكذا.. وهذه عبارات حسنة تقبلها القلوب فأخرجت هذه الأفعال في أسماءٍ حسنة حتى تقبل عليها القلوب وتظنها أمرًا شرعيًا ودينيًا.

المثال الثالث: وضع جوائز على حضور بعض الدروس والمحاضرات، وعلى حفظ القرآن ومنه جعل الأب لأبنائه جوائز على حفظ القرآن فالمقتضي له موجود عند السلف وهو الرغبة في تحفيظ أبنائه والمانع منتفٍ، فيستطيع الأب في ذلك الزمن أن يعطي ابنه شيئًا مقابل حفظ القرآن ومع ذلك لم يفعلوا فنحن مأمورون بإتباعهم فعلًا وتركًا.

فإن قيل: روى الشيخان عن أبي قتادة عن قال النبي ﷺ قال: «**من قتل قتيلًا فله سلبه**»

فجوابه أن غاية هذا الاستدلال قياس ما جاء في حديث أبي قتادة على بقية وسائل الدعوة، والقاعدة الشرعية المهمة التي ذكرها شيخ الإسلام في " **اقتضاء الصراط المستقيم** " أن القياس إذا عارض ترك النبي ﷺ فيصير قياسًا فاسدًا، يعني أن القياس إذا عارض السنة التركية صار قياسًا فاسدًا، لذلك

أخطأ بعض الشافعية لما قالوا: يستحب بعد السعي أن تصلى ركعتان قياسًا على الطواف لجامع أن كليهما يسمى طوافًا.

فيقال: هذا قياسٌ مصادم للسنة التركية فيعد قياسًا فاسدًا، فهو بدعة، ذكر هذا ابن تيمية في مواضع كما في **" مجموع الفتاوى "** و**" القواعد النورانية "** وأيضًا مما ذكر ابن تيمية أن السنة التركية وهي ترك النبي ﷺ وأصحابه مخصصة للفظ العام، كما قال الله ﷻ: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾ [الأعراف: ٥٥] فهذا يدل على أن الدعاء جماعيًا بعد صلاة الجماعة مستحب، فيقال: ترك النبي ﷺ وأصحابه له ولم يفعلوه هو إنكار لهذا الفعل، فإن الترك يعد سنةً تركية، والسنة التركية تخصص اللفظ العام، وتقيد اللفظ المطلق وإذا خالفت القياس صار القياس فاسدًا كما نص على ذلك ابن تيمية في الاقتضاء، فهذه قاعدة عظيمة ينبغي أن تضبط وأن تعرف في باب البدع حتى لا تدخل البدع باسم وسائل الدعوة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:**" فهذا الترك سنة خاصة، مقدمة على كل عموم وكل قياس"**[1].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ١٠٣)

وقد سمعت الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض مسجلاته يذكر أن وضع الجوائز على أمثال هذه الأمور أنها من البدع وليست شرعيةً؛ لأن النبي ﷺ وأصحابه لم يفعلوا ذلك.

فائدة: إذا قال قائل: إن تسجيل الدرس بدعة لأن النبي ﷺ والسلف لم يفعلوه فيقال: هذا لا يصح لأن ضابط البدعة لا ينطبق عليه لوجود مانع يمنعهم من فعل هذه الوسيلة وهي عدم اختراعها ومثله إلقاء المحاضرات عبر مكبرات الصوت وأجهزة التسجيل.

وبعد هذا ينبغي لنا أن نشتغل بالدعوة إلى الله على ما يريده الله، لذا قال: **(العلم قبل القول والعمل)**، فلابد ألا نعمل إلا بعلم، وألا ندعو إلا بعلم، ومن عمل بلا علمٍ فإنه سيضر نفسه لأنه سيقع فيما يغضب الله، ثم عقلًا إذا سألت أي إنسان أنت تعمل بماذا؟ قال: أعمل بما يريده الله -أي بالوحي- وهذا لا يمكن لمن لا يعرف الوحي فلا يصح العمل إلا بعلم وهذا من أعظم ضلالات جماعة التبليغ وهو مما جعلها مبتدعةً وضالةً فهم يحاربون العلم والعلماء ويريدون أن يدعوا بأهوائهم فهم في الواقع يعبدون أهواءهم لا يعبدون الله بما يريده؛ لأنهم لو عبدوا الله بما يريده الله لعبدوه بالعلم وبالوحي.

واستدل الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالى ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾ [محمد: ١٩] فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، وبهذا ننتهي من شرح المسائل الأربع.

(المتن)

اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث المسائل والعمل بهن:

الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا بل أرسل إلينا رسولًا فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار. والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥- ١٦].

الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل والدليل قوله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب والدليل قوله تعالى ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

(الشرح)

هذه المسائل الثلاث والتي قبلها مقدمة للثلاثة الأصول، وقد لخصها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضعٍ من **"الدرر السنية"** وذكر أن المسألة الأولى راجعة لتوحيد الربوبية، والمسألة الثانية راجعة إلى توحيد الإلهية، والمسألة الثالثة راجعة إلى الحب والبغض في توحيد الله، أي الولاء والبراء في توحيد الله هذا ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضعٍ من **"الدرر السنية"**.

الأولى: تكلم فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ على توحيد الربوبية، وأن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا، وسبق في القواعد الأربعة أن تعريف التوحيد عمومًا إفراد الله بما يختص به، وتعريف توحيد الربوبية: هو إفراد الله بأفعاله سبحانه.

وأن موقف كفار قريش من توحيد الربوبية يتلخص في أنهم مقرون به، لكن لابد أن يقيد بقيدين:

القيد الأول: أن إقرارهم به في الجملة كما أشار إلى ذلك ابن أبي العز الحنفي في شرحه على الطحاوية، ووجه ذلك أنه يوجد عند كفار قريشٍ إشراك في التمائم، والطيرة وهذه كلها شركٌ راجع إلى توحيد الربوبية.

القيد الثاني: إنكارهم للبعث والنشور، فكفار قريش كانوا يكفرون بالبعث والنشور، والبعث والنشور يرجع إلى توحيد الربوبية، وذكر الشوكاني في

تفسير سورة النبأ في كتابه فتح القدير أن كفار قريشٍ مجمعون على إنكار البعث والنشور، قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

لكن ذكر غيره كالشيخ سليمان بن عبد الله في **" تيسير العزيز الحميد "** أن عندهم خلافًا وأن منهم من يقر بالبعث والنشور، فأقل ما يقال: إن الشائع عندهم هو إنكار البعث والنشور، ولذلك تكاثرت الآيات في إقرارهم وإلزامهم بالإيمان بالبعث والنشور.

وتوحيد الإلهية إفراد الله بالعبادة، والعبادة خاصةٌ بالله، والأدلة على ذلك كثيرة ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ولما ذكر الإمام المجدد المصلح في المسألة الأولى الإقرار بتوحيد الربوبية الذي يلزم منه الإقرار بتوحيد الإلهية انتقل إلى الأمر الثاني وهو توحيد الإلهية الذي هو لازم توحيد الربوبية.

ثم ذكر بعد ذلك أنه لا يكفي أن يكون الموحد موحدًا بل يجب أن يحب ويبغض في التوحيد، فذكر المسألة الثالثة وهي: أن من أطاع الرسول يعني

أتى بتوحيد الربوبية إلى آخره، ووحد الله أتى بتوحيد الإلهية لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كانوا أقرب قريب، إلى آخر الكلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إذن هذا أمرٌ نحتاج له في زمننا هذه غاية الحاجة وهو أنه لا يكفي أن يعتقد المسلم السنة، والطريقة السلفية وما كان عليه السلف الصالح، بل لابد من الحب والبغض في ذلك، وبدعة عصرنا ترجع إلى أمرين:

الأمر الأول: التحزب وترك الحب والبغض في السنة.

الأمر الثاني: إضعاف أصل الإمامة وما يتعلق بالسمع والطاعة.

والذي يتعلق بهذا الدرس ذم التحزب، أخرج الآجري أنه قيل: لأبي بكر بن عياش:" من السني؟ قال: السني الذي إذا ذكرت الأهواء لم يغضب لشيء منها"، أي لا يتعصب إلا إلى السنة، وما عليه السلف الصالح، فكل من يتعصب إلى غير ذلك فليس سنيًا حتى لو اعتقد اعتقادًا صحيحًا، وتمسك بالسنة، فمن تعصب إلى أي حزبٍ فليس سنيًا، ويجب في المقابل أن يتعصب إلى السنة، لذا فإن قاعدة الإخوان المسلمين التي شاعت وانتشرت والتي تبناها حسن البنا: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه. هي بدعة عصرنا.

وهذا كاف في تبديع الإخوان المسلمين؛ لأنها مخالفةٌ لأهل السنة في أمرٍ كلي، وذلك أن الولاء والبراء على الحزب مخالفةٌ لأهل السنة في أمر كلي.

وهذه هي بدعة العصر وهي التحزب على غير السنة وغير ما عليه سلف هذه الأمة، لذاك اختبروا الناس بهذا، فقد يقول قائل: إن الله في السماء ويقر بأنواع التوحيد الثلاثة وبأصل السمع والطاعة وغير ذلك مما يذكر في كتب الاعتقاد كـ**" الواسطية "**.

لكنه لا يوالي ويعادي على السنة، فمن لم يوال ويعادي على السنة فقد ابتدع، وقد بدع السلف من جالس المبتدع وجعلهم بطانةً له، كما قال الأوزاعي وعبد الله بن المبارك: من خفيت علينا بدعته لم تخف علينا ألفته، وثبت عن عبد الله بن مسعود أنه قال: المرء بخدنه.

وقيل للإمام أحمد كما في طبقات أبي يعلى: **" أرى رجلا من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة أترك كلامه قال: لا أو تعلمه أن الرجل الذي رأيته معه صاحب بدعة فإن ترك كلامه فكلمه وإلا فألحقه به"**، وقد عقد الإمام ابن بطة فصلًا كاملًا في هذا، وأطال النقولات في بيان هذا الأمر، ومما ذكره ابن بطة في كتابه **" الإبانة الكبرى "**: **"لما قدم سفيان الثوري البصرة: جعل ينظر إلى**

أمر الربيع بن صبيح، وقدره عند الناس، سأل: أي شيء مذهبه؟ قالوا: ما مذهبه إلا السنة قال: من بطانته؟ قالوا: أهل القدر قال: هو قدري".

وهذه العلامة لا يستطيع الفكاك عنها أهل البدع، فقد أخرج ابن بطة في الإبانة الكبرى عن محمد بن عبيد الله غلاب أنه قال: وقد قيل يتكاتم أهل الأهواء كل شيء إلا التآلف والصحبة.

فصاحب السنة يتكلم بالسنة وينطلق من منطلقات السنة وكلام سلف هذه الأمة.

وقد استدل الشيخ الإمام المجدد على المسألة الثالثة بقوله تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾ [المجادلة: ٢٢].

والمُحادَّة قسمان:

محادةٌ كلية وهي للكفار.

ومحادةٌ جزئية وهي لأهل البدع ومن دونهم من أهل المعاصي.

فالكفار والمبتدعة يجب أن تقام معهم عقيدة الولاء والبراء.

وأن الكفار وأهل البدع يهجرون ويعادون ويبغضون لأنهم كفار ومبتدعة ولا يترك هذا الأصل إلا لمصلحةٍ راجحة.

والدليل على هجر أهل البدع ما أخرج الشيخان عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**».

وهذا أصل قد يلتبس على بعضهم فيقول: الأصل ألا يهجر أهل البدع، إلا إذا اقتضت المصلحة، وهذا خطأ مخالف لفعل سلف هذه الأمة وتقريراتهم في كتب الاعتقاد، اقرأ ما شئت في كتب الاعتقاد، كأصول السنة للإمام أحمد أو عقيدة علي بن المديني أو عقيدة الرازيين أوالإبانة الكبرى والصغرى أو عقيدة أبي عثمان الصابوني إلى آخر كتب الاعتقاد التي كتبها أهل السنة في باب الاعتقاد، تراهم متواردين مجمعين على هجران أهل البدع وهذا هو الواجب أن يهجر أهل البدع.

وقد أخطأ في هجران أهل البدع طائفتان:

الطائفة الأولى: الأصل ألا يهجر أهل البدع إلا لمصلحةٍ راجحة.

الطائفة الثانية: الأصل أن يهجروا ولا ينتقل عن هذا الأصل ولو لمصلحةٍ راجحةٍ وهذا خطأ، بل دين الله كله قائمٌ على جلب المصالح وتكميلها ودرأ المفاسد وتقليلها.

والأصل في هجران البدعة ما أخرج مسلم عن حديث جابر قال كان النبي ﷺ كل جمعةٍ على المنبر يقول: "أما بعد؛ فإن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعةٍ ضلالة" فهذا تحذير من البدعة.

أما المبتدعة فتقدم حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**»، فالأول نهيٌ عن البدعة والثاني نهيٌ عن صاحب البدعة.

والكافر يجب علينا دينًا أن نبغضه لأجل الدين ليس لأجل الدنيا، والدليل آية المجادلة وهي ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ**﴾ [المجادلة: ٢٢].

فإن قيل: ماذا يقال في قول الله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾، والمراد بهذه الآية عم النبي ﷺ كما في "**الصحيحين**" من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه.

وكذلك ماذا يقال في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ [الروم: ٢١].

والله أباح لنا نكاح الكتابيات أي الكافرات ولابد أن تحصل محبةٌ ومودةٌ بين الرجل المسلم والكافرة الكتابية؟

فيقال: طريقة الجمع هو أن هناك فرقًا بين الحب الديني والحب الطبعي، فيبغض الأب الكافر لأنه كافر، لكنه يحب محبةً طبعية لأنه أب، ومثل ذلك الزوجة الكافرة، فإن قيل: كيف يجمع بين المتناقضات؟ فيقال: كلا، ليس الأمران متناقضين، بل يحب من جهة ويبغض من جهة، وذلك كالدواء الكريه، يبغض من جهة كونه كريهًا ويحب من جهة كونه دواءً نافعًا، فالحب من جهةٍ والبغض من جهة.

ومن أراد أن يستدل بما تقدم ذكره على إسقاط عقيدة الولاء والبراء فهو مبطل ومتبع للمتشابه من القرآن، بل كتاب الله يفسر بعضه بعضًا ودين الله يفسر بعضه بعضًا.

(المتن)

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات: ٥٦] ومعنى يعبدون يوحدون وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه

والدليل قوله تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: من الآية٣٦].

(الشرح)

قال المصنف: (اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم) ...إلخ، تقدم في القواعد الأربع، أن معنى الحنيف لغةً مأخوذٌ من الإقبال ولازم ذلك الميل، وأما شرعًا فهو الإقبال على التوحيد مع الميل عن الشرك قصدًا، وهذه الحنيفية هي ملة إبراهيم وهي أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين

قال المصنف: (وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها).

أي إن الله أمر الناس بالتوحيد وخلقهم لأجل التوحيد.

أما خلقه سبحانه الناس لأجل التوحيد فالدليل قوله تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾، أما أمره سبحانه فالدليل قوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾ وهذا أمرٌ بالتوحيد.

وقوله: (**ومعنى يعبدون يوحدون**).

هذا التعريف من الإمام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من باب ذكر الشيء ببعض أفراده، وهذا مشهور عند السلف أنهم يفسرون الشيء بذكر بعض أفراده، كما بين هذا الإمام ابن تيمية في " **مقدمة أصول التفسير** " وابن القيم في "**الصواعق المرسلة** " فتفسير السلف كثيرًا ما يكون بالتمثيل.

قال ابن تيمية: " **فالسلف كثيرا ما يعبرون عن المسمى بعبارة تدل على عينه، وإن كان فيها من الصفة ما ليس في الاسم الآخر، كمن يقول: أحمد هو الحاشر والماحي والعاقب، والقدوس هو الغفور، والرحيم، أي أن المسمى واحد، لا أن هذه الصفة هي هذه الصفة. ومعلوم أن هذا ليس اختلاف تضاد كما يظنه بعض الناس**"[1].

عرَّف الإمام المجدد العبادة بمعنى التوحيد لأنها الفرد الأهم، ولأنها الذي من أجله صنف هذه الرسالة؛ ولأنها المعركة بين الأنبياء وخصومهم، وقد

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: ١٣)

عرف ابن عباس العبادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أي يوحدون، بذكر فرد من أفراده لكن هذا هو الفرد الأهم وهو توحيد الله.

وإلا معنى العبادة الأشمل ما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح **" رسالة العبودية "** قال: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"

ومعنى هذا: أن كل شيء يحبه الله سواءٌ كان قولًا أو فعلًا أو اعتقادًا فإنه عبادة، لذلك أمر الله به، وهذا هو معنى تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية، فكل ما يحب الله أن يفعله ففعله عبادة، وكل ما يحب الله أن يترك فتركه عبادة، وقبل أن أبتدئ بالأصل الأول وهو معرفة العبد ربه، أنبه إلى أن ابن عباس فسر قوله تعالى:، إلا ليوحدون، وقد جاء عن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه فسر ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: إلا لآمرهم وأنهاهم، واختار هذا الزجاج وشيخ الإسلام ابن تيمية، ومعنى إلا لآمرهم وأنهاهم أي إلا لآمرهم بكل ما أمرتهم به من دين الله، وأنهاهم عن كل محظور نهيتهم عنه، وهذا هو مرجع العبادة كما تقدم، أنها ما بين أن تكون فعلًا فيكون مستحبًا أو واجبًا، أو تركًا فتكون مكروهةً أو محرمة، وكلام عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أشمل من كلام عبد الله بن عباس.

ومعرفة العبادة أمر مهم فقد كان خلاف المصنف مع خصومه في أنهم يقولون: إن صرف العبادات لغير الله كالذبح والنذر إلى آخره ليس حقيقة صرف عبادة لغير الله، وسيأتي بيان هذا إن شاء الله.

والمقصود أن العبادة اسمٌ جامع لكل ما يحب الله ويرضاه، ففي باب الأفعال كل مستحبٍ أو واجبٍ فهو عبادة، والعبادة لا تخرج في الأفعال عن الواجبات والمستحبات، وفي باب الترك لا تخرج عن المكروهات والمحرمات، فالمباح ليس عبادةً با لإجماع بل إن التعبد بالمباح بدعة، كما بين هذا ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، وإنما يتعبد بالمباح إذا استعين به على طاعة الله.

قال ابن تيمية: **" كل ما يستعان به على الطاعة فهو طاعة وإن كان من جنس المباح. قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لسعد: ﴿إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة حتى اللقمة تضعها في في امرأتك﴾ "**[2]

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **" في أعلام الموقعين "** أن المباح إنما يتعبد به للاستعانة به على طاعة الله، أما التعبد بالمباح لذاته فهذا بدعة كما بينه ابن تيمية فيما تقدم.

---

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٥٠- ٤٥٢)

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣١)

إذن لا يُتعبَّد بالمباح إلا إذا استُعين به على طاعة الله وقد روى البخاري ومسلم عن معاذ أنه قال: إني لأحتسب على الله نومتي كما أحتسب عليه قومتي. فالنوم مباح، لكن تعبد بهذا المباح ليستعان به على طاعة الله ﷻ.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة)**.

عرَّف المصنف التوحيد بفردٍ من أفراده، وهو ما ألف الرسالة من أجله، وهو إفراد الله بالعبادة، وإلا التوحيد أشمل من ذلك وتقدم أنه إفراد الله بما يختص به.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه)**.

هذا أيضًا تعريفٌ للشرك بذكر فردٍ من أفراده، وإلا فالشرك أشمل من ذلك وهو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله.

قال المصنف: **(والدليل قوله تعالى، يعني: الدليل على أن أعظم شيء هو التوحيد من العبادات وأعظم المحرمات هو الشرك قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾)**.

وجه الدلالة أنه ابتدأ بهذا الأمر ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ**﴾، وأيضًا ابتدأ بهذا النهي ﴿**فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون**﴾ ثم ذكر ما بعده، فلما ابتدأ بالأمر

بالعبادة دل على أن أعظم الأوامر هو التوحيد ولمّا جعل أول النهي نهيًا عن الشرك وجعله أول المنهيات دل على أن أعظم المنهيات الشرك كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، وهذا أيضًا ابتدأ بالأمر بالتوحيد فدل على أنه أعظم الأوامر.

وأيضًا قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١] فدل هذا على أن الشرك أعظم المحرمات.

فإذا تبيَّن أنَّ التوحيد أعظم الأوامر وأن الشرك أعظم المنهيات فينبغي لداعية التوحيد أن يشتغل بدعوة الناس إلى التوحيد؛ لأنه أعظم الأوامر وضده أعظم النواهي، وقد طبق النبي ﷺ هذا عمليًا، فمكث النبي ﷺ في مكة عشر سنوات لا يدعو إلا إلى التوحيد فحسب، ثم بعد ذلك فرضت الصلاة، فاستمر في مكة بعد ذلك ثلاث سنواتٍ وصار المجموع ثلاث عشرة سنة، لكن جلس أول عشر سنوات لا يدعو الناس إلا إلى توحيد الله، وهذا يدل على أهمية التوحيد، فالواجب على كل داعية وناصح أن يشتغل في تعلم التوحيد وتعليمه للناس.

ومن كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تتبين أهمية التوحيد من جهتين:

الجهة الأولى: أنه الأمر الذي أمر الله به جميع الناس.

الجهة الثانية: أن الله خلق الناس من أجله، فالذي يدل على الجهة الأولى قوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾، والذي يدل على الجهة الثانية قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾.

وهذا يؤكد ما تقدم ذكره من أهمية التوحيد ومن أهمية الاشتغال به علمًا وتعلمًا ودعوةً، فإنه الفارق الأعظم بين المسلم والكافر.

(المتن)

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمدًا ﷺ.

(الشرح)

هذه الأصول الثلاثة هي مسائل القبر التي يُسأل عنها الميت في قبره، وهذه الأصول الثلاثة جاءت في حديث البراء عند أصحاب السنن أنه يُسأل عن هذه الثلاث، وقد صحح الحديث جمعٌ من أهل العلم كالبيهقي في كتابه " **البعث والنشور** " وابن منده وأبي نعيم وذكر ابن القيم أنه لم يطعن فيه أحد من أهل الحديث.

وأصل الحديث في البخاري ومسلم، وقد جاء من طرقٍ وليست فيه كثيرٌ من الزيادات المذكورة في حديث البراء المطول الذي أخرجه أحمد وغيره، وفي مسلم رواية أنه أجاب على أمرين:

على السؤال عن ربه أي أنه في قبره يجيب على ربه، وعلى السؤال عن نبيه محمدٍ ﷺ أما الرواية التي خارج **"الصحيحين"** ففيها يُسأل عن ثلاثة، والمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر هذه الأصول الثلاثة بأنها المسائل التي يُسأل عنها الميت في قبره، بناءً على حديث البراء المخرج خارج **"الصحيحين"**.

وفيما يلي سيفصل الإمام المصنف هذه الأصول الثلاثة، فيذكر أولًا معرفة العبد ربه ثم يذكر معرفة دين الإسلام ثم معرفة نبيه محمد بن عبد الله ﷺ

(المتن)

الأصل الأول: فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه وهو معبودي ليس لي معبود سواه والدليل قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وكل ما سوى الله عالم و أنا واحد من ذلك العالم.

فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ فقل بآياته ومخلوقاته ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن مخلوقاته السموات السبع والأراضون السبع ومن فيهن وما بينهما.

والدليل قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧] وقوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] والرب هو المعبود.

والدليل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى " الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة ".

(الشرح)

بدأ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بالكلام على الأصل الأول وهو معرفة العبد ربه، فقال: فإذا قيل لك: من ربك، أي: من هذا الرب الذي لا إله إلا هو وتعبده وحده دون غيره؟ قال: فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواه.

والدليل على أنه ليس لك معبودٌ سوى الله سبحانه: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة: ٢] ووجه الدلالة هو قول المصنف: وكل من سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم، لأنه رب العالمين، أي رب العالمين كلهم أي رب جميع المخلوقات، أي رب كل أحدٍ إلا هو سبحانه.

قال: (**فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ فقل بآياته ومخلوقاته**)، إذًا بأمرين اثنين بآياته ومخلوقاته، ثم عرف الآيات بقوله: ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما.

والفرق بينهما أن كل ما سوى الله مخلوق كما قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، الله خالق كل شيء، لكن هذه المخلوقات تختلف، فالآيات والمخلوقات إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، فإذا اجتمعا فيراد بالآيات: المتحركات، ويراد بالمخلوقات: الثابتات ودلالة المتحرك أقوى من دلالة الثابت، فلو صنع رجلٌ صنعةً تتحرك فهي أبلغ في إتقان الصنعة من صنعةٍ ثابتة، وإذا افترقا فكل مخلوق آية وعلامة على الله ﷻ، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد سبحانه، وكذلك كل الآيات.

لذا قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فقل: بآياته ومخلوقاته)، فكلاهما مخلوقان لكنهما إذا اجتمعا افترقا، فصارت الآيات متحركات والمخلوقات ثابتات.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾، هذه متحركات، قالوا: والمخلوقات هي السماوات السبع والأرضون السبع، وهذه ثابتة.

قال المصنف: (والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ..﴾، الآية).

ثم استدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ

﴿وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] فالمصنف الآن استدل على المخلوقات وعلى الآيات.

فدليل الآيات قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾، ودليل المخلوقات قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والرب هو المعبود، والدليل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]).

هذه الآية فيها أمرٌ بعبادة الله وحده، لأنه لا خالق إلا هو، فكما أنه لا خالق إلا هو وهذا عملٌ عظيم كذلك لا تكون العبادة -وهي أعظم الأشياء- إلا لله وحده، ولذلك نقل قول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق لعبادته، وهذا الكلام موجود في تفسير ابن كثير بمعناه.

وفي الكلام المتقدم تقرير قاعدةٍ مهمة وهي: أن الإقرار بتوحيد الربوبية يلزم منه الإقرار بتوحيد الإلوهية.

وكذلك الإقرار بتوحيد الإلوهية متضمنٌ للإقرار بتوحيد الربوبية، فإذا كان لا يعبد إلا الله فهذا يتضمن أنه لا خالق إلا الله، وإذا أقر بأن الله هو الخالق الرازق فهذا يلزم منه أن يقر بأنه لا يعبد إلا الله.

وقد نص على هذه القاعدة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويدل عليه كلام ابن كثير المتقدم، وهو مأخوذٌ من القرآن في مثل آية البقرة السابقة، لذلك احتج الله سبحانه على إقرار الكفار بتوحيد الربوبية بأن يقروا بتوحيد الإلهية وألا يعبدوا إلا إلهًا واحدًا سبحانه.

تنبيهات ثلاثة:

التنبيه الأول: أن قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، الألف واللام إذا أتى بعدها أمرٌ معنويٌ فهي بمعنى الاستحقاق، بخلاف ما إذا أتى بعدها أمرٌ حسيٌ فهي بمعنى الملك.

أفاد هذا ابن هشام في كتابه **" المغني اللبيب "** فيكون وجه الدلالة من هذه الآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي المستحق للعبادة هو رب العالمين وحده وهو الله ﷻ؛ لأن المؤلف ذكر هذه الآية للدلالة على أنه لا معبود إلا الله.

التنبيه الثاني: أن المؤلف لَمَّا دلل على الآيات في قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾، ثم بعد ذلك دلل على المخلوقات في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، أتى بهاتين الآيتين التي فيهما ختم كل آية بما يدل على أنه لا يعبد إلا الله وحده، فقال في الآية الأولى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾، أي لا تعبدوا الشمس ولا القمر ﴿اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، ثم في الآية الأخرى قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

أي أنه كما أنه لا خالق إلا الله فكذلك لا يكون أمرٌ إلا من الله ﷻ.

التنبيه الثالث: قال المصنف: (**والرب هو المعبود، ثم ذكر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾**)، والذي يدل على أن الرب هو المعبود قوله سبحانه: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

خطابه لهم بهذه الآية أي لا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين معبودين؛ لأن النزاع معهم كان في العبادة لا في الخلق والرزق، قال: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، فهذا يدل على أن الرب يطلق ويراد به المعبود، وهذا مفيد للغاية في كشف شبهةٍ عند المشركين المتأخرين وهي قولهم: إن الإنسان إذا سئل في قبره: من ربك؟

يُسأل عن توحيد الربوبية لا يُسأل عن توحيد الإلهية، والجواب على هذا من وجهين:

الوجه الأول: إن الرب يطلق بمعنى المعبود كما تقدم.

الوجه الثاني: أنه إذا سئُل عن الربوبية فهو سؤال أيضًا عن الإلوهية؛ لأن الإقرار بتوحيد الربوبية مستلزمٌ الإقرار بتوحيد الإلوهية.

(المتن)

ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغيرذلك من أنواع العبادة التي أمرالله بها كلها لله تعالى، والدليل قوله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

فمن صرف منها شيئًا لغيرالله فهو مشرك كافروالدليل قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَلا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

وفي الحديث «الدعاء مخ العبادة»، والدليل قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ودَلِيلُ التَّوَكُلِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...﴾ الآية [البقرة: ١٥٠].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ...﴾ الآية [الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ و إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. وَفِي الْحَدِيثِ: «وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]. وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ...﴾ الآية[الأنفال:9].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَه وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣]. وَمِنَ السُنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧].

(الشرح)

قول الإمام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومنه الدعاء والخوف والرجاء ...) إلى آخره، يعني ومن أنواع العبادة، فضمير الهاء يعود على أنواع، يعني من أنواع العبادة قال: الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى.

أجمل المصنف ثم سيفصل بذكر كل عبادةٍ ودليلها، لكنه ذكر جملةً من أنواع العبادات لأنه قال: وغير ذلك من أنواع العبادات، يعني أن العبادات أكثر مما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وإنما أراد أن يذكر هذه من باب التمثيل.

والعبادات لا تكون إلا لله، لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ فصرفها لغير الله شرك أكبر، والقاعدة الشرعية أن الدعاء إذا أطلق في الكتاب والسنة فيراد به دعاء المسألة ودعاء العبادة إلا لقرينة كما بين هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى وابن القيم في " جلاء الأفهام "

ودعاء المسألة مطلق الطلب كقول: يا رب اغفر لي، يا رب ارحمني، يا رب تب عليّ، يا رب من عليّ بالعلم النافع، فهذا يسمى دعاء مسألة، أما دعاء العبادة مطلق التعبد، فالصلاة تسمى دعاء عبادةٍ والزكاة والصدقة والحج وكل العبادات تسمى دعاء عبادةٍ.

ودعاء العبادة لا يصرف لغير الله مطلقًا، فمجرد صرفه لغير الله شركٌ أكبر، أما دعاء المسألة إذا فعل على وجه التعبد فلا يجوز إلا الله،

والأفعال المُتعبَّد بها نوعان:

النوع الأول: أفعال لا تأتي إلا عبادة، كالذبح، فإن الذبح والنذر لا يأتي إلا عبادةً.

النوع الثاني: أفعال تأتي عبادةً وغير عبادة كالخوف والرجاء.

فالتي لا تأتي إلا عبادة إذا صرفت لغير الله صارت شركًا أكبر، أما التي تأتي عبادة وغير عبادة، إذا صرفت لغير الله لا تكون شركًا أكبر بل ينظر إن فعلها على وجه التعبد فهي شركٌ أكبر، وإن لم يفعلها على وجه التعبد فليست شركًا أكبر.

ودعاء المسألة قد يكون عبادةً وقد لا يكون قال الله ﷻ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] قال: ﴿نَدْعُ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] إذن يُدعى النبي ﷺ ولو كان عبادةً لما دُعي إلا الله.

أما الذبح فلا يأتي إلا عبادةً، والأفعال التي تأتي عبادةً وغير عبادة لابد أن يفصل فيها، فمنها ما هو شركٌ أكبر إذا كان على وجهٍ خاصٍ بالله سبحانه.

كدعاء البعيدات فإنه لا يسمع البعيدات إلا الله، فاتساع السمع للبعيدات خاصٌ بالله وحده كما بين ذلك ابن تيمية في **" الإخنائية "** وابن عبد الهادي في **" الصارم المنكي "** والشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين في شرحه على ثلاثة الأصول، فلا يسمع البعيدات ويعلم البعيدات إلا الله، فلو دعا رجل رجلًا في الهند أو السند بأن قال: يا فلان أعطني ريالًا لصار شركًا أكبر؛ لأن السمع لا يتسع للبعيدات وإنما هذا خاص بالله فمعنى هذا الدعاء اعتقاد أن السمع يتسع للبعيدات أو أنه يعلم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

فإذا ادعاء علم الغيب شرك أكبر وادعاء سماع البعيدات شرك أكبر من جهةٍ أخرى، وهي أن اتساع السمع للبعيدات خاصٌ بالله.

أما الدعاء في أمر غير خاص بالله في المباحات فهو مباح، كمن دعا موجودًا حيًا قادرًا بأن يقول: يا فلان أعطني عشر ريالات، وهو قادر وحي وموجود فهذا جائز، بحسب الدعاء قد يكون الدعاء واجبًا وقد يكون مستحبًا إذا كان لله، وقد يكون الدعاء مباحًا أو مكروهًا أو محرمًا وهذا المحرم قد يكون شركًا أكبر أوشركًا أصغر أوبدعةً.

فإذًا يختلف باختلاف الأحوال وقد بينت ذلك في كتاب **" قواعد ومسائل في توحيد الإلهية "** وفي كتابي **" الإلمام "**.

إذن لابد أن يفرق بين الأفعال التي لا تأتي إلا عبادةً والأفعال التي تأتي عبادةً وغير عبادة.

ومما نازع الخصوم فيها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب زعمهم أن دعاء الأولياء الأموات ليس عبادةً فلا يكون شركًا وقد ذكر هذه الشبهة الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتابه **" كشف الشبهات "**.

وكشف هذه الشبهة أن كل ما يرجى ثوابه فهو عبادة كما بين هذا ابن تيمية في المجلد الحادي عشر من مجموع الفتاوى، وكل ما يحبه الله ويرضاه بأن يجعل عليه أجرًا أو ثوابًا أو أن يجعله من الإيمان، أو أن يجعله من الأفعال التي يرضى عنها إلى آخره فهو عبادة، لأن العبادة اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه،

فكل من صرف هذا الفعل الذي يأتي غير عبادة على وجه التعبد لغير الله فهو شركٌ أكبر.

أما إذا كان لا يأتي إلا تعبديًا فبمجرد صرفه لغير الله فهو شركٌ أكبر.

قال المصنف: (**والدليل قوله تعالى**) يعني الدليل على أن العبادات خاصةٌ لله (﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾) أي لا تعبد مع الله أحدًا، والدعاء يراد به دعاء المسألة ودعاء العبادة.

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾، إذًا العبادة خاصة بالله فصرفها لغير الله شرك ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ**﴾.

هاتان الآيتان دالتان على أن العبادة خاصةٌ لله وتقدم في ضابط الشرك أنه تسوية غير الله بالله في شيءٍ من خصائص الله، وبهذه الآية استدل المصنف في بيان أن العبادات لله وحده، ولذلك قال: وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى ثم استدل بهذه الآية.

ثم أراد أن يقرر أن صرف هذا الفعل لغير الله شركٌ أكبر فقال: (**فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشركٌ كافر**) فصرفها لغير الله شركٌ أكبر؛ لأن

حد وضابط الشرك: تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله سبحانه - كما تقدم-.

قال المصنف: (والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾) الشاهد ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾، سماهم كافرين فدل هذا على أن صرف العبادة لغير الله شركٌ أكبر وخروجٌ من الملة، فالدعاء شامل للمسألة والعبادة.

أما قوله سبحانه: ﴿لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾، هذا وصف كاشف لا مفهوم له، فهو ليس من الألفاظ التي لها مفهوم بدليل ليس لأحدٍ برهانٌ في دعوة وعبادة غير الله سبحانه، فهو وصفٌ كاشف.

ومثل ذلك ما في "صحيح مسلم" عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله»، هذا لا يراد به أن الاجتماع في غير البيوت لا يثاب عليه وإنما هذا وصفٌ كاشف لا مفهوم له.

كما بين ذلك ابن علان في شرحه على رياض الصالحين، ويدل لذلك دليلان:

الدليل الأول: ذكر بيتٍ من بيوت الله في الحديث خرج مخرج الغالب والقاعدة المجمع عليها أن ما خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له بالإجماع كما بين ذلك المجد ابن تيمية والآمدي وغيرهما.

الدليل الثاني: حديث آخر رواه مسلم عن أبي سعيد قال قال النبي ﷺ: «**ما اجتمع قومٌ يتلون كتاب الله**»، ولم يذكر بيتًا من بيوت الله، فإذًا هذا وصف كاشف لا مفهوم له.

علمًا أن الأصل في الألفاظ أن لها مفهومًا، وإذا لم يكن للفظ مفهوم مخالفة فهو وصفٌ كاشف.

وبعد هذا انتقل المصنف إلى ذكر الأدلة على أنواع العبادة، قال: **ومنه الدعاء**. فالمصنف يريد أن يستدل على كل نوعٍ من أنوع العبادة فيذكر الدليل على أن هذا الفعل كالدعاء عبادة.

قال المصنف: (**وفي الحديث: "الدعاء مخ العبادة"**)، هذا الحديث يدل على أن الدعاء عبادة، فإذا تقرر أنه عبادة فصرفه لغير الله شركٌ أكبر، والحديث هذا أخرجه الترمذي وغيره من حديث أنس لكن لا يصح إسناده، وإنما الصحيح ما ثبت عند الأربعة من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**».

فإذًا صرف الدعاء لغير الله شركٌ أكبر، والدعاء يراد به النداء لغةً إلا أن الذي يبحث في كتب التوحيد النداء المقرون بطلب.

فلو قال قائل: دعاء غير الله كالأموات شركٌ أكبر وقد جاء في الشريعة دعاء ميت كما في الصحيحين عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال في التحيات: «**السلام عليك أيها النبي**»، وثبت عن عمر في **" الموطأ "** أنه كان يقول على المنبر، وهذا بعد وفاة النبي ﷺ **" السلام عليك أيها النبي "**.

وقد أجاب على هذه الشبهة شيخ الإسلام ابن تيمية في **" اقتضاء الصراط المستقيم "** وفي **" منهاج السنة "** ومحمد بشير السهسواني في كتاب **"صيانة الإنسان "** بجوابٍ أوضح وهو أن الدعاء للميت الذي هو شركٌ هو الدعاء المقرون بطلب، فقول: السلام عليك أيها النبي. ليس فيه طلب شيء، وهو كما أخرج الشيخان عن أنس بن مالك عن رسول الله أنه قال «**وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»، أي لابنه إبراهيم، وابنه قد مات فهذا ليس شركًا لأنه ليس نداءً مقرونًا بطلب.

وإنما الشرك هو النداء المقرون بطلب، والطلب قد يكون حقيقيًا، وقد يكون حكميًا، والرافضة -عليهم لعائن الله -يقولون: يا علي يا حسين، بل إن نساءهم في شدة الكرب عند الولادة يقلن: يا علي يا حسين، يعني فرج عنا، وسهل علينا ما نحن فيه إلى آخره.

فهذا نداءٌ مقرونٌ بطلب لكن الطلب حكميٌ لا حقيقيٌ، إذًا تقدم الدليل على الدعاء، ومن الأدلة على الدعاء قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وجه الدلالة أنه لما قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾، قال بعد ذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾، دل هذا على أن الدعاء عبادة، فإذًا صرف الدعاء لغير الله شركٌ أكبر.

ثم بعد ذلك انتقل إلى النوع الثاني وهو الخوف، قال: (**ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [آل عمران: من الآية١٧٥]).

فالخوف عبادة بدليل أنه علق الإيمان على الخوف.

تنبيه: إذا أُثبت لله شيء فلا يكون خاصًا به إلا إذا دل الدليل على أنه خاصٌ به، فالله يُدعى، ويُخاف منه، ويُرجى سبحانه، إلى آخره، فلا يقال: إن هذه خاصةٌ بالله، فالأصل أنه له ولغيره إلا إذا دل دليلٌ على أنه خاصٌ بالله، لكن نوع دعاء الله وخوفه ورجائه يختلف عن فعله للمخلوقين؛ لكن أصل الدعاء والقول والرجاء إلى آخره يشترك فيه الخالق والمخلوق، مثل الوجود فإن الخالق موجود والمخلوق موجود وإن كان وجود الخالق وجودًا واجبًا

أي ليس مسبوقًا بفناء وليس ملحوقًا بعدم، أما المخلوق فوجوده جائز لأنه مسبوقٌ بفناء وملحوقٌ بعدم.

وهناك أدلة أخرى تدل على أن الدعاء ليس خاصًا بالله بل يكون لله وللمخلوق كقوله تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾.

وأما الخوف، فالأصل في لفظ الآية أن الخوف خاصٌ بالله؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فظاهره أنه خاصٌ بالله لأنه قال: فلا تخافوهم، ثم أثبته لنفسه، لكن دلت الأدلة الأخرى على أن الخوف يكون من المخلوقين، فإذًا لابد من التفصيل في الخوف.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥] إذًا الخوف يكون من الخالق ومن المخلوق، لكن نوع وكيفية الخوف من الخالق تختلف عن المخلوق، فيفصل في الخوف كالدعاء، فهو ما بين خوف واجب وخوف مستحب.

فأصل الخوف في القلب شرط للإيمان، كما نص على هذا ابن القيم في " **مدارج السالكين** " وابن رجب في كتابه " **التخويف من النار** " لكن كمال الخوف مستحب.

فإذن الخوف منه ما هو واجب ومنه ما هو مستحب ومنه ما هو مباح، كأن يخاف ممن له قدرة على فعل ما يهدد به، أو يخشى أن يضر إلى آخره.

ويذكر العلماء كأئمة الدعوة في كتبهم خوف السر، والمراد به كما أشار إلى ذلك الشيخ سليمان بن عبد الله في مقدمة **" تيسير العزيز الحميد "** أن يخاف من الولي أو غيره أن يضر بغير اتصالٍ بين السبب والمسبب، كمثل ولي في قبره يخشى أن يضرب أو يقتل أو أن يفعل كذا وكذا، وهذا لا يستطيعه إلا في حالةٍ واحدة وهي عله دون اتصال بين السبب والمسبب، والذي يفعل الأشياء بغير اتصال بين السبب والمسبب هو الله ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يس: ٨٢].

إذن إيجاد الأسباب دون اتصال بين السبب والمسبب خاصٌ بالله وهو المراد بخوف السر عندهم.

قال المصنف: (**ودليل الرجاء، أي والدليل على أن الرجاء عبادة قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** [الكهف: ١١٠]) والأصل فيما ثبت لله أنه يثبت لغيره ما لم يدل الدليل على أنه خاصٌ بالله.

ومعنى الرجاء هو الطمع في حصول المطلوب فهو مرادفٌ لمعنى الأمل، وبين الرجاء والتمني فرق وهو أن التمني حصول مطلوب بعيد، كما قال الشاعر: **" ألا ليت الشباب يعود يومًا "** هذا بعيد أو ممتنع.

أما الرجاء والأمل فهو حصول مطلوب قريب وقد يحصل وقد لا يحصل، والرجاء عبادة ويكون لغير الله بدليلين:

الدليل الأول: أن ثبوتها لله لا يمنع أن يثبت لغير الله كما تقدم بيانه.

الدليل الثاني: فقوله تعالى: ﴿**وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا**﴾ [النور: ٦٠] فأثبت الله سبحانه الرجاء للمخلوقين.

قال المصنف: **(ودليل التوكل، أي الدليل على أن التوكل عبادة)**.

ومعنى التوكل: اعتماد القلب على الله مع فعل الأسباب، وهذا قريب من المعنى الذي ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم.

والأصل أنه ليس خاصًا بالله إلا إذا دل الدليل على أنه خاصٌ بالله، وقوله تعالى: ﴿**عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة: من الآية٢٣] يدل على الخصوصية لأنه قدم الجار والمجرور، فتقديم المعمول على العامل يفيد الاختصاص، أي أن التوكل خاصٌ بالله، فأفاد حصر التوكل بالله سبحانه.

وقد تنازع العلماء في إطلاق التوكل على غير الله، ولم أر دليلًا مستقيمًا في بيان أن التوكل ليس خاصًا بالله، بل إن الأدلة تدل على أن التوكل خاصٌ بالله سبحانه فهو اعتماد القلب مع فعل الأسباب،

والقول بأنه خاص بالله هو ظاهر قول الإمام أحمد وغيره وهو ظاهر كلام ابن القيم فقد ذكر أن التوكل عمل القلب.

ومن قال: إن التوكل ليس خاصًا بالله فيلزمه الدليل.

فعليه لا يقال: أتوكل على الله ثم عليك؛ لأن التوكل خاصٌ بالله، فمن قال ذلك لفظًا وقع في الشرك الأصغر لفظًا، فيصير التوكل تمامًا كالحلف، لا يصح أن يحلف بغير الله، كذلك لا يصح أن يتوكل على غير الله، فإن الحلف بغير الله لفظًا شركٌ أصغر، والتوكل على غير الله لفظًا شركٌ أصغر، وقول: أتوكل على الله ثم على فلان شرك تمامًا كقول: أحلف بالله ثم بفلان، فالتوكل خاصٌ بالله كالحلف فإنه خاصٌ بالله سبحانه والدليل ﴿عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾** [الأنبياء: من الآية ٩٠]).

ومعنى الرغبة يرجع إلى الطمع في حصول الشيء والإلحاح، ولذلك ادع الله برغبة أي بطمعٍ وإلحاحٍ وبنحو هذا المعنى.

والرهبة خوف مع فزعٍ، والخشوع بمعنى الانكسار وما يرادف ذلك.

والرغبة ليست خاصة بالله كما هو الأصل ولم أقف على دليل يدل على أن الرغبة خاصة بالله، بل هناك ما يدل على أنها ليست خاصةً بالله، قال: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾، فأثبت الرغبة، ويدل على صرف الرهبة لغير الله قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ﴾.

ولم أقف على دليلٍ خاص يثبت الخشوع لغير الله، وبالرجوع للقاعدة السابقة فليس خاصًا بالله إلا إذا دل دليلٌ على ذلك، ولم أقف على دليل يدل على أنه خاصٌ بالله ﷻ.

قال: (ودليل الخشية قوله تعالى ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾) الخشية قريبة من معنى الخوف، بل هو نوعٌ من أنواع الخوف، إلا أن هناك فرقًا بين الخشية والخوف وقد ذكر هذا ابن القيم في كتابه مدارج السالكين، والشيخ العلامة ابن عثيمين في شرح كتاب " **التوحيد** " وشرحه لثلاثة الأصول.

فالخشية خوفٌ مع المعرفة بخلاف الخوف قد لا يكون مع معرفةٍ وعلم، لذا أثبت الله الخشية للعلماء قال: إنما يخشى الله من عباده العلماء، فإذًا الخشية خوفٌ مع علم ومعرفة.

وقد ذكر هذا ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **" مدارج السالكين "**.

والفرق الثاني: أن الخشية خوفٌ مع كون المخشي معظمًا، بخلاف الخوف قد لا يكون معظمًا ويخاف منه، فيسمى خوفًا لا خشية، ذكر هذا الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في شرحه على كتاب **" التوحيد "**.

وظاهر هذه الآية أن الخشية خاصةٌ بالله لأن الله يقول: ﴿**فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي**﴾، لكن دل دليل على أن الخشية تكون لغير الله فقد ثبت في **"الصحيحين"** عن ابن عمر قال ﷺ: «**فإذا خشي أحدكم الصبح فليصلي ركعةً واحدة توتر له ما قد صلى**»، فأثبت الخشية لغير الله.

قال: (**ودليل الإنابة، الإنابة بمعنى الرجوع، قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾**)، فهي عبادة لكن ليس هناك دليل يدل على أنها خاصةٌ بالله فإذا تكون لله ولغير الله.

قال: (**ودليل الاستعانة قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** [الفاتحة: ٥] **وفي الحديث «إذا استعنت فاستعن بالله»**) يريد حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فظاهر قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، أن الاستعانة خاصةٌ بالله؛ لأنه قدم المعمول على العامل، فيفيد الحصر والخصوصية، لكن هناك دليل يدل على أن الاستعانة تكون لغير الله وهو ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة، قال النبي ﷺ: «**واستعينوا بالغدوة والروحة وشيءٍ من الدلجة**»، فقوله: «**واستعينوا**»، جعل الاستعانة بغير الله وقد ذكر ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في كتابه الرد على البكري أن الاستعانة بغير الله فيما يقدر عليه جائزة إجماعًا.

وقال الشوكاني في كتابه (**الدر النضيد**): "**ولا خلاف أنه يجوز أن يُستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه من أمور الدنيا كأن يستعين به على أن يحمل معه متاعه**"(١).

قال: (**ودليل الاستعاذة قوله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾** [الناس: ١]) والأصل أن الاستعاذة ليست خاصةً بالله، بل وهناك دليلٌ خاص يدل على أنها ليست خاصة بالله، فيما يقدر عليه المخلوق.

---

(١) الدر النَّضيد ص ١٤.

وهو ما أخرج مسلم عن جابر أن النبي ﷺ أراد أن يقطع يد امرأة فاستعاذت بأم سلمة فقال: «**لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها**»، الشاهد فاستعاذت بأم سلمة فلم ينكر عليها النبي ﷺ ذات الاستعاذة بغير الله وإنما أنكر عليها أنها استعاذة بأمر محرم.

فإن قيل: قد استدل السلف كأحمد وسفيان بن عيينة وغيرهما على أن كلام الله غير مخلوق بأنه استعيذ بكلام الله فيما أخرج مسلم عن خولة بنت حكيم أن النبي ﷺ قال: «**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك**»، قالوا: دل هذا على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأنه لا يستعاذ بالمخلوق.

فيقال: ما قرره السلف صحيح؛ لأن الاستعاذة في هذا الحديث استعاذة في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله، فلا يعيذ من جميع الشرور إلا الله ﷻ.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على البكري أن الاستعاذة من الدعاء ومثله الشيخ سليمان بن عبد الله في " **تيسير العزيز الحميد** ".

قال: (**ودليل الاستغاثة قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾**)

ظاهرة هذه الآية لا يفيد أن الاستغاثة خاصةٌ بالله، والفرق بين الاستعانة

والاستغاثة أن الاستغاثة تكون في الكرب والشدة، أما الاستعانة تكون في وقت الرخاء وفي الكرب والشدة.

فالاستغاثة تكون لله ولغير الله؛ لأنه لا دليل يدل على أنها خاصةٌ بالله، ثم هناك ما يدل على أنها ليست خاصةً بالله، وهو ما في **"الصحيحين"** عن أبي هريرة قال النبي ﷺ يوم القيامة: «**لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني**»، أي يوم القيامة عند الحساب، فلو كان خاصًا بالله لما قالوا: يا رسول الله أغثني، والاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزةٌ بالإجماع حكاها الشوكاني في **" الدر النضيد "** وابن تيمية في الرد على البكري، وما جاء في الاستغاثة يدل على الاستعانة؛ لأن الاستغاثة استعانة، إلا أنها استعانة في حالة الشدة، فإذا جازت الاستغاثة بالإجماع فالاستعانة من باب أولى.

قال: (**ودليل الذبح قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾**) وجه الدلالة قال: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ**﴾، أي له وحده، أكد ذلك في قوله: ﴿**لا شَرِيكَ لَهُ**﴾، أي إن صرفه لغير الله شرك.

ثم قال: (ومن السنة: «لعن الله من ذبح لغير الله»)، هذا أخرجه مسلم من حديث علي.

فالنبي ﷺ لعن من ذبح لغير الله، قال: «لعن الله من ذبح لغير الله» فدلّ هذا على أن الذبح لا يكون إلا لله، فإذا لم يكن إلا لله فيكون خاصًا بالله، وليس هناك دليل يدل على أن الذبح يكون لغير الله.

إذَن الذبح عبادة، فصرفه لغير الله شرك أكبر مطلقًا، فإن قيل: ماذا يقال في الذبح للضيف؟ فيقال: الذبح للضيف لا يراد به إزهاق النفس وإراقة الدم، وإنما المراد اللحم، لكن اللحم لا يتيسر إلا بإزهاق النفس وإراقة الدم، أما الذي يُبحث في كتب التوحيد فهو إزهاق النفس وإراقة الدم لذاته، كذبح الأضحية، فالمراد أن يراق الدم وتزهق النفس لله، فلو سُرقت الأضحية فإنه يعتبر مضحيًا؛ لأن المراد ذبح الأضحية لا أكل لحمها، فمن ذبح لغير الله يعني قصد إراقة الدم وإزهاق النفس له فهذا هو الشرك، وهذا هو الذي يراد في كتب التوحيد، أما الذبح للضيف فإن إراقة الدم وإزهاق النفس جاء تبعًا، فلابد أن يُفرق بين الأمرين.

قال المصنف: (وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧]).

النذر عبادة ولا يكون إلا لله، والدليل على أنه عبادة قوله سبحانه: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ هذا مدح ومدح الشيء يدل على أنه عبادة.

فإن قيل: هذا في الإيفاء بالنذر، وفرق بين النذر والإيفاء به؟

فيقال: قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ أي يجازي عليه. وهذا يدل على أن النذر عبادة في أصله، ولا يصح القول بأن كل النذر مكروه فمقتضى هذا أنه ليس عبادة لأن العبادة يحبها الله والمكروه لا يحبه الله.

فإن قيل: ماذا يقال في حديث ابن عمر وأبي هريرة الذي أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما قال: «**نهى النبي ﷺ عن النذر؛ قال: وإنما يُستخرج به من البخيل**» فالمراد به النذر المقيد، وليس النذر المطلق، فالنذر المقيد كقول: إن شفى الله مريضي فعلت كذا، إن نجحت في اختباراتي فعلت كذا، هذا نذر مقيد، أما المطلق فهو النذر لله ابتداءً كالنذر بالذبح لله وهذا عبادة مستحبة.

قد يقول قائل: يلزم على هذا أن النذر المقيد ليس عبادة لأنه مكروه.

فيقال: إن الكراهة رجعت في وصفه لا في أصله، فالدعاء عبادة، وصرفه لغير الله شرك أكبر -على ما تقدم بيانه-. والاعتداء في الدعاء مكروه والكراهة جاءت في وصفه لا أصله ومثل ذلك النذر المقيد؛ فإن الكراهة في

وصفه وهو التقييد لا إلى أصل النذر، ومن الخطأ أن يقال إن كل النذر مكروه أو محرم؛ لأن لازم هذا أنه ليس عبادة وصرفه لغير الله ليس شركًا أكبر.

فإذن النذر عبادة، والنذر هو إلزام النفس بمباح لم يُلزم الله به ولا رسوله ﷺ، فيلزم النفس بفعل شيء لله لم يلزمه الله به ولا رسوله ﷺ.

هذه بعض أنواع العبادة كما ذكر الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وينبغي أن يعلم أن هناك أدلة يستدل بها بعض أهل العلم لإثبات جواز إطلاق أمور على غير الله كالرجاء فقد ذكر محمد بشير السهسواني في كتابه النافع **" صيانة الإنسان"** أن الرجاء يُفعل لغير الله، بأن يُرجى غير الله، واستدل بقوله ﷻ: ﴿**يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا**﴾ وفي الاستدلال بهذا نظر؛ وذلك أن الذي قال هذا هم المشركون، ومن المعلوم أنه لا يُحتج بأفعال المشركين، لذلك لا يصح الاستدلال بهذا الآية.

ومثل ذلك الاستدلال بقوله ﷻ: ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى**﴾ فاستدل بها بعض أهل العلم على أن الاستغاثة ليست عبادة على الإطلاق؛ بدليل أن الإسرائيلي استغاث بموسى، قال: ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ**﴾، وقد بين شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الاستدلال

بهذا لا يصح في كتابه الرد على البكري، وأيضًا ذكر نحوًا من ذلك في كتابه **"الصارم المسلول"**، ووجه هذا أن موسى لم يكن وقتها نبيًا ليحتج بفعله، وإن كان في موضع من مجموع الفتاوى قرر صحة الاستدلال بهذه الآية، فيكون لشيخ الإسلام في الاستدلال بهذه الآية قولان، والأصح –والله أعلم– أنه لا يصح الاستدلال بها في بيان أن من الاستغاثة ما لا يكون عبادة، مع الإقرار بأن من الاستغاثة ما لا يكون عبادة فيصرف للمخلوق كما تقدم بيان ذلك، بل وعليه إجماع أهل العلم كما سبق ذكره، وإنما البحث في الاستدلال بهذه الآية.

(المتن)

(الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ. وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ).

(الشرح)

بدأ الإمام المجدد المصلح في ذكر الأصل الثاني من الأصول الثلاثة أو من ثلاثة الأصول، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ)**، وتقدم بحث قوله: **(بِالأَدِلَّةِ)** وأن هذا يختلف باختلاف المتعلم، فإن كان عاميًا فدليل العامي قول العالم المجتهد الموثوق بعلمه، أما من عدا هؤلاء من المجتهدين فدليلهم الكتاب والسُنة وما عُلم من الأدلة الشرعية.

قوله: **(وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ)** هذا التعريف للإسلام تضمن أمورًا ثلاثة:

١- تضمن الاستسلام لله بالتوحيد وهذا يتعلق باعتقاد القلب.

٢- قوله: **(وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ)** يتعلق بالظاهر.

٣- قوله: **(وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ)** هذا من جهة النفي؛ لأن الإسلام يتضمن إثباتًا ونفيًا، والإثبات يكون بالظاهر والباطن، والباطن الاستسلام

لله بالتوحيد، والظاهر الانقياد بالطاعة، أما من جهة النفي فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ)، ليتم الإسلام لابد من البراءة من الشرك، ومعنى البراءة من الشرك أن يُعتقد أن الشرك باطل، وأن من اعتنق الشرك فهو مشرك كافر.

وقوله: (وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ) أبلغ من قول: والخلوص من الشرك، أو من قول: وترك الشرك؛ لأن البراءة ترك وزيادة فهو ترك مع العداء والبغضاء، وهي الذي جاء به القرآن فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ تأمل هذه الآية جعلت البراءة من أمرين: من الشرك وأهله؛ ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ تبرأ من أهل الشرك ومن الشرك، وهذا هو معنى قول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما قال: (وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ) فلا يكفي البراءة من الشرك بل لابد من البراءة من أهله أيضًا، وسبق الكلام على ما يتعلق بعقيدة الولاء والبراء.

ثم قال الشيخ: (وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ) سيذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يتعلق بالإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان، ويسرد ويذكر الأدلة.

(المتن)

(المرتبة الأولى: الإسلام. فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إلٰه إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَ إِقَامُ الصَّلاةِ، وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰه إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِالْقِسْطِ لاَ إِلٰه إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران، ١٨].

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنْ الإِثْبَاتِ ﴿لا إله﴾ نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ﴿إِلا اللهُ﴾ مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ ﷻ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨]. وقَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَدِليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَةَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَوأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣].

ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَفَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]).

(الشرح)

هذا كله يتعلق بالمرتبة الأولى وهي مرتبة الإسلام، ومرتبة الإسلام كما ذكر الشيخ المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ خمسة أركان، قال: (فأركان الإسلام خمسة).

الركن الأول الشهادتان، والركن الثاني إقام الصلاة، والركن الثالث إيتاء الزكاة، والركن الرابع صوم رمضان، والركن الخامس حج بيت الله الحرام، كل ركن من هذه الأركان سيُدلل عليها الإمام المجدد المصلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا أنه سيستطرد فيما يتعلق بالركن الأول أي بالشهادتين؛ بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله لأهمية الأمر ولأنه المقصود بالتأليف.

قال: (فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰه إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ﴾) فالشاهد قوله: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰه إِلاَّ هُوَ﴾ فهذا فيه ذكر الشهادة على كلمة التوحيد من القرآن.

ثم انتقل الشيخ إلى بيان معناها؛ قال: (وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ)، وقد سبق بيان أن كفار قريش مقرون بتوحيد الربوبية، فإذًا كلمة التوحيد لا ترجع إلى توحيد الربوبية وإنما ترجع إلى توحيد الإلهية؛ لأنها لو كانت ترجع لتوحيد الربوبية لأقر بها كفار قريشٍ، والله ﷻ يحكي عنهم أنهم قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥] إذًا معناها يرجع إلى توحيد الإلهية لا إلى توحيد الربوبية.

فمعنى أشهد أن لا إله إلا الله أي أُقر إقرارًا جازمًا أنه لا معبود بحق إلا الله، لذا قال ﷻ: ﴿وإلهكم إله واحد﴾ فالمعبود هو الله ﷻ، فمعنى أشهد أن لا إله إلا الله أي أُقر إقرارًا جازمًا بلساني وأعتقد ذلك جازمًا بقلبي أنه لا معبود بحقٍ إلا الله ﷻ.

قال الشيخ: (﴿لا إله﴾ نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ﴿إِلا اللهُ﴾ مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ)، تقدم أن طريقة القرآن ذكر توحيد الربوبية للإلزام بتوحيد الإلهية، لذا قال الشيخ:

(كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ)، فيقول أنتم تُقرون أنه لا شريك لله في ملكه، ويلزم من هذا الإقرار بأنه لا شريك له في عبادته ﷻ، إذن معناها: لا معبود بحق إلا الله.

ومعنى أشهد أي أُقر إقرارًا جازمًا بلساني ومعتقدًا ذلك بقلبي.

ثم الإقرار بكلمة التوحيد فيه أمران: النفي والإثبات:

النفي: لا معبود بحق: أي لا يُعبد أحد ولا يوجد إله يُعبد بحق.

الإثبات: إلا الله.

ثم انتقل الشيخ إلى أمر دقيق وهو بيان تفسيرها من القرآن، أي بيان تفسير كلمة التوحيد لا إله إلا الله من القرآن، قال: (وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآء مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾) هذا نفي؛ وهو بمعنى لا إله، قال: (﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾) هذا بمعنى إلا، فهذه الآية جمعت بين النفي والإثبات، وهي تُفسر كلمة التوحيد، لذا قال ﷻ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

ثم ذكر الشيخ قوله ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ﴾ هذا نفيٌ وإثبات، وهو تفسيرها.

فتفسير كلمة التوحيد جاء في آيتين ذكرهما الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١. الآية الأولى: قوله ﷻ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هذا نفيٌ، قال: ﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ فهذا هو الإثبات.

٢. الآية الثانية: قوله ﷻ: ﴿أَلاَّ نَعْبُدَ﴾ هذا نفي ﴿إِلاَّ اللهَ﴾ هذا إثبات، وهذا هو معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وفي هاتين الآيتين كما تقدم تفسير هذه الكلمة العظيمة.

ثم قال المصنف: (وَدِليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى) سيستدل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هاهنا على هذه الكلمة بلوازمها ومقتضاها، وإلا فإن معنى شهادة أن محمدًا رسول الله أي أقر وأعترف جازمًا بلساني وجازمًا بقلبي أن محمد بن عبد الله الهاشمي هو رسول الله وخاتم النبيين إلى آخره، هذا هو معناها لكن الشيخ ذكر لازمها ومقتضاها، لأن الإقرار بلازمها ومقتضاها أقرار بمعناها من باب أولى.

فذكر قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ هذه الآية فيها بيان أن رسول الله من العرب، وقوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي من العرب، يعز عليه أي يشق عليه ما يتعبكم وهو حريص على المؤمنين ورؤوف رحيم بهم ﷺ.

قال الشيخ المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك: (وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ) ثم ذكر أمورًا أربعة، وهذه الأمور هي من مقتضياتها ومن لوازمها وليست معناها، وإلا فإن معناها الإقرار باللسان والاعتقاد بالقلب جازمًا على أن محمد بن عبد الله الهاشمي الذي هو من قريش الذي هو خاتم.. أنه رسول الله وأتى بدين الإسلام وأُنزل عليه القرآن وخاتم المرسلين والنبيين ﷺ، هذا هو معناها، وإنما ذكر الشيخ مقتضياتها ولوازمها.

وقد نبه على هذا ابن قاسم في حاشية **" ثلاثة الأصول"** قال: (**هذه لوازمها**)، وذكر مثل هذا شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين في حاشيته على **"ثلاثة الأصول"**، والشيخ حافظ الحكمي في كتابه **"الأعلام المنشورة"**.

وهذه اللوازم والمقتضيات أربعة:

١- الأول قوله: (طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ).

٢- الثاني قوله: (وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ).

٣- الثالث قوله: (واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ).

٤-الرابع قوله: (وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ).

إذن هذه المقتضيات الأربعة مهمة للغاية، ولو ضُبطت وعُرفت لنجا الناس من كثير من المخالفات الشرعية.

أما الأمر الأول: (طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ) إن كان على وجه الوجوب فيفعل وجوبًا، وإن كان على وجه الاستحباب فيفعل استحبابًا، ثم ذكر الأمر الثالث: (واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ) ما نهى عنه يتركه، وقوله: (وَزَجَرَ) يُشير إلى المحرمات، فقوله: (واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ) كأنه -والله أعلم- معناها أشمل؛ فتشمل المحرم والمكروه، لكن قوله: (وَزَجَرَ) هذا الزجر إنما يكون في المحرمات.

وهذا هو معنى ما في **الصحيحين عن** أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**» علق الأمر بالاستطاعة أما النهي أمر ﷺ بالاجتناب.

قال: (وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ) إذا أخبر بأمر فإنه يوقن به إيقانًا؛ لأنه ﷺ حق ولا يُخبر إلا بالحق لأنه وحي رب العالمين.

قال: (وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ) أي لا يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ في العبادة، فإن التعبد بأي عبادة لم يتعبد بها رسول الله ﷺ يعد بدعة.

هذه المقتضيات الأربعة التي يجب أن تُفهم، الأول لما قال: (طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ) يتعلق بالأفعال، والأقوال الظاهرة والباطنة؛ لأن عمل القلوب يكون بالفعل أو بالترك، ومن الترك ترك الحسد وهو داخل في قوله: (واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ) وحب الله ورسوله ﷺ المؤمنين، داخل في قوله: (طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ).

قال: (وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ) هذا يرجع إلى أقوال القلوب فإن الذي يُقابل الأخبار هو التصديق وهو قول القلب، فإن أصل التصديق هو قول القلب، لذلك القلب فيه عمل وقول.

والفرق بين عمل القلب وقوله هو ما ذكره الشيخ عبد الرحمن السعدي في تعليقاته على **"الواسطية"** وذكره غيره بذكر الأمثلة،

قال الشيخ السعدي: **" والفرق بين أقوال القلب وبين أعماله: أن أقواله هي العقائد التي يعترف بها القلب ويعتقدها، وأعمال القلب: فهي حركته التي يحبها الله ورسوله "** (١).

(١) كتاب التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة ص ٨٥.

فتصديق الأخبار في ذكر القيامة والميزان والحساب، يُسمى قول القلب، وطاعة الشرع بحب المؤمنين وبغض الكافرين وأهل البدع، فهذا يُقابل الطلب، ويُسمى عمل القلب.

فالقلب فيه عمل وفيه قول، وترك قول القلب كفر بإجماع أهل السُنة، وأكثر المرجئة يُكفرون به، يعني الذي لا يُصدق كافر حتى عند الأشاعرة وعند مرجئة الفقهاء، فالذي لا يُصدق بقلبه كافر.

وترك عمل القلب كفر بإجماع أهل السُنة كما بيّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى وابن القيم في كتابه **"عدة الصابرين"**.

إذا تبين هذا فإذًا قوله: **(وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ)** فيه أن رسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة وهو القدوة في عبادة الله؛ ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾، ويقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(جاء الأمر بطاعة النبي ﷺ في بضعٍ وثلاثين موضعًا)** فهذا فيه أمر بطاعة النبي ﷺ، يقول ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى: **(وقد أوجب الله طاعة الرسول على جميع الناس في قريب من أربعين موضعا من القرآن)**.

وقد تقدم أن البدعة هي التعبد بما لا دليل عليه، فكل تعبد بعبادة لا يقوم عليها دليل شرعي فهي بدعة.

تنبيهات:

التنبيه الأول: أن الأصل في العبادات الحظر والمنع، وهذا هو قول أهل السُنة وكلام شيخ الإسلام الذي نقله عن أهل السُنة في **"القواعد النورانية"** يدل على أن هذا بإجماعهم، وأقر هذا الشاطبي في **"الاعتصام"** ابن رجب في شرح حديث: «**من أحدث في أمرنا هذا**» من كتاب **"جامع العلوم والحكم"**، وقرره غيرهما من أهل العلم.

إذن الأصل في العبادات الحظر والمنع، ويدل لهذا أن النبي ﷺ ذم من تعبد بما لا دليل عليه في **الصحيحين** عن عائشة قال قال **النبي** ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» فكل من أراد أن يتعبد بعبادة لابد أن يأتي بدليلها وإلا تكون مردودة.

التنبيه الثاني: لابد من معرفة قاعدة مهمة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية وقبله الشافعي في كتاب **"الرسالة"**، والشاطبي في **"الاعتصام"** و**"الموافقات"**، وابن القيم في **"أعلام الموقعين"** وفي **"زاد المعاد"**، وصنيع أئمة السُنة يدل عليها، وهي أن فعل النبي ﷺ سُنة وتركه سُنة، فما ترك من العبادات فهو يعد سُنة فالتعبد بما ترك بدعة، ويصح أن تسمى بالسُنة التركية، ففعله ﷺ سُنة وتركه سُنة، فالتعبد بما ترك من العبادات بدعة، وفهم هذا مهم للغاية وتترتب عليه أمور كثيرة، ففي الصحيحين في قصة النفر الثلاثة الذين

تقللوا عبادته، لما أتوا وسألوا وقالوا: هذا رسول الله قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكل منهم أراد أن يتعبد بعبادة لم يتعبد بها رسول الله ﷺ فأنكر عليهم النبي ﷺ وقال: «**أما إني أخشاكم لله وأتقاكم**» ثم قال: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»، فهو في ترك السنةوهي السُنة التي تركها، فتركه سُنة كما أن فعله سُنة.

ومن الألة على السنة التركية ما روى مسلم أنه لما كان يخطب بشر بن مروان وكان إذا أراد أن يدعو رفع يديه فقال عمارة بن رؤيبة رضي الله عنه: قبح الله هاتين اليدين، والله ما رأيت رسول الله ﷺ يزيد في الدعاء على أن يشير بأصبعه السبابة. فاستدل بتركه ﷺ.

وخرّج الدارمي وابن وضاح وغيرهما أن أناسًا كان مجتمعين يقول أحدهم: سبحوا الله مائة، فيكبرون مائة، ويسبحون مائة بهذه الحصى، فلما علم بذلك عبد الله بن مسعود أنكر عليهم، واستدل بأن النبي ﷺ لم يفعل ذلك؛ قال: (**هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر**) يعني أأنتم سابقون إلى خير لم يسبق إليه النبي ﷺ وأصحابه أم أنكم مفتتحو باب ضلالة فاستدل بترك النبي ﷺ وأصحابه.

التنبيه الثالث: إذا تعارض النص العام أو القياس مع السُنة التركية فيكون فاسدًا، والسُنة التركية تُخصص اللفظ العام، وهذا من القواعد المهمة وبها يرد على بدع كثيرة، وقد تقدم الكلام عليها.

التنبيه الرابع: السُنة التركية نوعان:

النوع الأول: أن يرد عن النبي ﷺ أو صحابته النفي كأن يقولوا: ما كان النبي ﷺ يفعل كذا وكذا.

وقد ثبت في مسلم عن جابر بن سمرة قال: (**صليت مع النبي ﷺ العيد غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة**)، هذه سُنة تركية بنفي الصحابي.

النوع الثاني: ألا ينفي الصحابي لكن تتوافر الدواعي والهمم للنقل فلا يُنقل، فلو كان دينًا وخيرًا لنُقل؛ فإن دين الله محفوظ.

قال ابن القيم: "**فإن قيل من أين لكم أنه لم يفعله وعدم النقل لا يستلزم نقل العدم؟ فهذا سؤالٌ بعيد جدًا عن معرفة هديه وسنته وما كان عليه، ولو صحَّ هذا السؤال وقُبِل لا ستحبَّ لنا مستحبٌّ الأذان للتراويح، وقال من أين لكم أنه لم يُنقل؟ واستحبّ لنا مستحبٌ آخر الغسل لكل صلاةٍ وقال من أين لكم انه لم يُنقل؟ واستحبَّ لنا مستحبٌّ آخر النداء بعد الأذان للصلاة يرحمكم الله ورفع بها صوته وقال " من أين لكم أنه لم يُنقل؟ واستحبّ لنا آخرُ**

لبس السواد والطرحة للخطيب وخروجه بالشاويش يصيح بين يديه ورفعُ المؤذنين أصواتهم كلما ذكر اسم الله واسم رسول الله ﷺ جماعةً وفُرادى وقال من أين لكم أن هذا لم يُنقل؟ واستحبَّ لنا آخر صلاة ليلة النصف من شعبان أو ليلة أول جمعة من رجب وقال من أين لكم أن إحياءهما لم يُنقل؟ وانفتح باب البدعة وقال كل من دعا إلى باب بدعة من أين لكم أن هذا لم يُنقل"[1].

التنبيه الخامس: معرفة الضابط في التفريق بين الوسائل المحدثة والوسائل الشرعية مهم.

قال الإمام المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى) ورد في دليل واحد ثلاثة أمور: أولًا الصلاة، ثانيًا الزكاة، ثالثًا تفسير كلمة التوحيد، (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ﴾) وتقدم بيان معنى الحنيف.

قال: (﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ

(١) أعلام الموقعين (٢/ ٣٧٠)

تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]).

(المتن)

(الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ، وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إِلٰه إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: كما في الحديث: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]).

(الشرح)

المرتبة الثانية وهي الإيمان، والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان، يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان، وكما أن الإيمان قول وعمل واعتقاد فكذلك الكفر قول وعمل واعتقاد، فأهل السُنة يُكفرون بالأقوال والأعمال والاعتقاد، وقد حكى الإجماع على ذلك إسحاق بن راهويه كما نقله المروزي في كتابه **"تعظيم قدر الصلاة"**.

قال المصنف: (بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً) ففي الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» أما البخاري فقال: «**بضع وستون**» وفي رواية في مسلم: «**بضع وسبعون أو بضع وستون**».

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ) أي أركان الإيمان، قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، والفرق بين أن الإيمان قول وعمل واعتقاد إلى آخره وبين هذه الأركان الستة أن هذه الأركان الستة فيما يُؤمن به، أما أن الإيمان قول وعمل واعتقاد فالنظر فيه لذاته فهو في نفسه قول وعمل واعتقاد إلى آخره.

قال الشيخ: (وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]).

هذه الآية ذكرت خمسة أمور وقد جعل ابن القيم في كتابه **"مفتاح دار السعادة"** أصول الإيمان خمسة بناءً على آية **"البقرة"**، وأسقط الإيمان بالقدر، وذلك -والله أعلم- أن الإيمان بالله يستلزم الإيمان بالقدر؛ لأن القدر فعلُ

الله ﷻ كما قال ذلك الإمام أحمد فيما نقله ابن القيم في كتابه **"بدائع الفوائد"**، أما الإمام المجدد المصلح فجعل أركان الإيمان ستة كحديث جبريل.

قال المصنف: (**ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾** [القمر: ٤٩]) فهذه الآية مع آية **"البقرة"** تدل أن أصول الإيمان ستة، وسواء قيل خمسة أو ستة فالأمر سهل.

(المتن)

(الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ، وله رُكْنٌ وَاحِدٌ. كما في الحديث: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]. وقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠]. وقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَه إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا». قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ:

«أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم»).

(الشرح)

قال الإمام المجدد: (الْمُرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ) رُكْنٌ وَاحِدٌ وهو «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، جعل الإمام المجدد الإحسان ركنًا واحدًا ووجه هذا - والله أعلم- أن ترك استشعار أن الله يرى العبد ترك للإحسان فهذا ركنه والوحيد، أما الإمام ابن رجب " في كتابه **"جامع العلوم والحكم"** فجعله مرتبتين:

المرتبة الأولى والأعلى: مرتبة المشاهدة، قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه**».

المرتبة الثانية: مرتبة الإخلاص، «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» وهي أقل من مرتبة المشاهدة.

والإسلام يتعلق بالأعمال الظاهرة، والإيمان يتعلق بالأعمال الباطنة، والإحسان يتعلق بطريقة فعل الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة، فإذًا الإحسان ليس قسيمًا للإسلام والإيمان، وإنما هو طريقة الإيمان والإسلام.

ثم دلل الإمام المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ وببقية الآيات، وهذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ فيها ثناء على من يُحسن في أداء عمله، والإحسان إما أن يكون على طريقة المشاهدة أو على طريقة الإخلاص.

قال: ﴿﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠] وهذا يرجع إلى درجة الإخلاص؛ لأنه قال: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ومثل هذا قوله ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ وهذا إحسان لكن على درجة الإخلاص. وقد يقال ذكر أنه يرانا لنسعى لتحصيل الأكمل وهو عبادته على درجة المشاهدة فيكون فيه ذكر لمرتبتي الإحسان.

ثم ذكر الإمام المجدد المصلح حديث جبريل المشهور، وهو الذي رواه عمر عن رسول الله ﷺ وفيه ذكر أركان الإسلام الخمسة، وذكر أصول الإيمان الستة، وذكر الإحسان بمرتبتيه المتقدمتين، وهذا هو الشاهد من إيراد هذا الحديث، حتى قال في آخره: «هذا جبريل أتاكم يُعلمكم أمر دينكم» فدل على أن هذه الأمور كلها هي الدين كله، ومن أتى بها أتى بالدين كله.

(المتن)

يقول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ.**

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، وَلَهُ مِنَ الِعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون فِي النبوة. نُبِّئَ بـ ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ).

(الشرح)

هذا هو الأصل الأخير من ثلاثة الأصول، وهذا الأصل يتعلق بنبينا محمد ﷺ وهو من أقوى ما يُرد به على الذين يطعنون في الدعوة السلفية دعوة الإمام المجدد المصلح محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحجة أنه لا يُعظم النبي ﷺ أو كما قال بعض خصومه كذبًا وزورًا إنه يقول: إن عصاي التي أتكئ عليها أنفع من محمد ﷺ. إلى آخر كلمات السوء والعياذ بالله.

وهذا الأصل كله عن رسولنا محمد ﷺ، وهو تأصيل حال النبي ﷺ ودعوته التي دعا إليها ﷺ، وهذا المتن وهو **"ثلاثة الأصول"** يُدرس للطلاب في الصف الابتدائي في المدارس النظامية في المملكة العربية السعودية كلها،

فكيف يقال: إن الوهابية لا يحبون النبي ﷺ وهم الوحيدون الذين يُلزمون أبناءهم بدراسة التوحيد ودراسة الدين، ومنه دراسة ما يتعلق بنبينا محمد ﷺ.

وإلا فلقب (الوهابي) لقب تنفيري ولا أصل له، فإن دعوة الإمام المجدد امتداد لدعوة المجددين والمصلحين، ومرجعه رسول الله ﷺ، وهو يلتزم فهم سلف هذه الأمة، ومن أراد أن يحكي شيئًا خلاف هذا فالحجة والبينة والبرهان وإنما العبرة بالبيّنات والبراهين على قوله، ومن لم يفعل ذلك -ولن يستطيعوا فيما يتعلق بدعوة الإمام المجدد المصلح- فإنهم سيعودون خاسرين، وسيكتشف من أراد الله له الهداية أنها طريقة تنفير.

روى اللالكائي[1] عن الإمام أبي حاتم أنه قال: وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل السنة حشوية، يريدون إبطال الآثار، وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبهة

والعاقل ينظر إلى حقائق الأمور ويدرسها، ولا يكتفي بالألقاب والكلمات التنفيرية مثلما يُنفر الآن من دعاة السُنة باسم الجامية، وهذه التنفير لا أصل

(٨) (١/ ١٧٩).

ولا وجود له وإلا هاتوا لنا أصلًا خالفوا ما عليه السلف الصالح، وإنما أراد أهل البدع أن يُنفروا من دعوة أهل الحق بمثل هذه الألقاب.

من هم خارج السعودية يصفون السلفية بأنهم وهابية، ومن هم داخل السعودية وداخل صفوف أهل السُنة ينفرون من أهل السُنة باسم الجامية وبأمثال هذه الألقاب التي هي ألقاب سوء.

والحمد لله الذي لم يجعل كيدهم إلا في هذه اللقاب ألقاب الزور التي يرددونها ولا أصل لها.

يقول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هو محمد بن عبد الله)** يعني نبينا محمدًا ﷺ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، ونسبه متصل بعدنان وهذا بإجماع أهل العلم حكاه الذهبي في كتابه **"تاريخ الإسلام"**، وابن كثير في كتابه **"الفصول"**، وابن القيم في كتابه **"زاد المعاد"**، فنسبه متصل إلى عدنان بالإجماع والتواتر كما يقول الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم إن نبينا ﷺ كما ذكر المصنف: **(من قريش وقريش من العرب)** وقريش سُميت بقريش لأسباب اختلف فيها أهل العلم، لكن قالوا إنه مأخوذ من الجمع وهو أن يجتمع الشيء بعضه إلى بعض، ومما قيل إن أهل قريش اجتمعوا في مكة بعد تفرقهم فسُموا قريشًا، وقد ذُكرت أمور أخرى في سبب تسميتهم

بقريش، وقريش يقال إنهم أولاد النضر بن كنانة، وقيل إنهم أبناء فهر بن مالك بن نضر بن كنانة، والثاني وهو أنهم أولاد فهر بن مالك هو الأرجح وهو الأشهر كما ذكر ذلك الشنقيطي في تفسيره رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وذلك لما في البخاري عن ابن عباس أنه لما نزل قوله ﷻ: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ أخذ النبي ﷺ يُنادي: «**يا بني فهر، يا بني عدي**» فأخذ يُناديهم النبي ﷺ، وعدي يرجع إلى فهر، يقول ابن عباس لبطون قريش، فإذًا مرجع قريش كلهم إلى فهر بن مالك، هذا الأرجح والله أعلم.

ثم إن نبينا ﷺ ولد عام الفيل، حكى غير واحد الإجماع كالخياط بن خليفة وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه **"زاد المعاد"** وابن قتيبة، وأخرج ابن سعد عن ابن عباس **أنه قال: (إن النبي ﷺ ولد عام الفيل)**. وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: ثبت عنه.

والنبي ﷺ ولد في جوف مكة، وهذا بإجماع أهل العلم حكاه ابن القيم في **"زاد المعاد"**.

قال المصنف: **(وَلَهُ مِنَ الِعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون نبيًا ورسولًا ﷺ)** ذكرت هذا العمر عائشة كما في

الصحيحين قالت: إن عمر النبي ﷺ ثلاث وستون سنة، وذكر مثل هذا عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين.

قال: (نُبِّئَ بـ ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾) حصل نزاع بين أهل العلم وهذا الذي حققه ابن القيم في كتابه **"زاد المعاد"** ونسبه إلى جماهير أهل العلم أنه ﷺ نُبئ بـ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وأُرسل بـ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾.

ويلاحظ أن الإمام المجدد رَحِمَهُ اللَّهُ داعية توحيد، لذا يُرجع الكلام المتعلق بسيرته إلى التوحيد والتحذير من الشرك؛ لأن الإمام مجدد في التوحيد، فأراد أن يُعلم الناس أن دعوة رسول الله ﷺ دعوة توحيد، وقد كتب الإمام المجدد رَحِمَهُ اللَّهُ في السيرة كتابين؛ أحدهما كتاب مستقل من تأليفه، والثاني مختصر على **"زاد المعاد"** وله أيضًا رسالة صغيرة **"ستة مواضع من السيرة"**، وكل هذه الكتب إذا قرأتها لاسيما الكتاب الذي كتبه في السيرة و**"ستة مواضع من السيرة"** تجد أنه رَحِمَهُ اللَّهُ يُعلق الكلام في السيرة بالتوحيد والتحذير من الشرك؛ لأن دعوة النبي ﷺ قائمة على هذا، وقد انشر الشرك في المسلمين من قرون وابتدأ الشرك من القرن الرابع على أيدي الرافضة -عليهم لعائن الله-، ثم بعد ذلك شاع وانتشر في بلاد المسلمين حتى صار هو الأغلب في بلاد المسلمين.

فلذلك الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان داعية توحيد، ويُعلق كثيرًا من سيرة رسول الله ﷺ بالأمر الذي من أجله أُرسل الرسل أجمعون؛ قال الله -عز وجل-: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾.

روى البخاري من طريق عطاء عن ابن عباس في تفسير قوله ﷻ: ﴿**وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾ قال: (**أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت**) قال: (**فسموها بأسمائهم**) يعني ابتدأوا بهذا الأمر، قال: (**حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت**) فبسبب ذلك أرسل الله نوحًا -عليه السلام- فهو أول المرسلين، وسيأتي الكلام على هذا إن شاء الله-، إذًا الرسل كلهم دعاة توحيد والسبب الرئيس من إرسالهم هو دعوتهم إلى التوحيد.

(المتن)

(نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وَهَاجَرَ إِلَى المَدِينَة.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالَدْعُوة إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١-٧]. وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ. ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا).

(الشرح)

تأملوا ما تقدم؛ فيه تأكيد لما سبق ذكره وهو أنه علق الأمور بالتوحيد، ثم لما ذكر ترك الشرك عبر بلفظ البراءة، وسبق أن التعبير بلفظ البراءة أدق من التعبير بلفظ الخلوص والترك، ثم لم يجعل البراءة خاصة بالشرك بل أيضًا من أهل الشرك.

(المتن)

(أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ).

(الشرح)

اختلف العلماء في وقت عُروج النبي ﷺ، وهو وقت فرض الصلاة؛ لأنه على الصحيح لم يُعرج بالنبي ﷺ إلا مرة واحدة كما بينه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه **"زاد المعاد"** ورد على من قال إنه قد أسري به أكثر من مرة، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في شرحه على البخاري عشرة أقوال في وقت الإسراء وأشهر هذه الأقوال أنه عُرج به ﷺ قبل أن يُهاجر بثلاثة سنين -أي في السنة العاشرة بعد بعثته ﷺ، وهذا قول ابن الأثير ووصفه الحافظ ابن حجر في شرحه البخاري بأنه الأشهر من أقوال أهل العلم وهو الذي اختاره الإمام المجدد المصنف محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(المتن)

(وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ. وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وساءت مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٩٧-٩٩]. وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:نزلت هَذِهِ الآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»).

(الشرح)

أخرج الحديث أحمد وأبو داود عن خال المؤمنين معاوية بن سفيان وعبد الله بن السعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والحديث صححه العلامة الألباني في كتابه **"إرواء الغليل"**.

أما ما نقله عن البغوي، فقد ذكره البغوي في تفسيره عن مقاتل بن سليمان والكلبي، وأن سبب النزول ما ذكره الإمام المجدد المصلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أما ما يتعلق بكلام الإمام المجدد وهو وجوب الهجرة، فالهجرة واجبة بإجماع أهل العلم على من لم يستطع إظهار دينه، وقد دلّ على وجوب الهجرة القرآن والسُنة والإجماع.

أما القرآن فقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إذًا هم عاصون، ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي لا نستطيع أن نُظهر ديننا، فمن لم يستطع إقامة دينه ويستطيع الهجرة فإن الهجرة واجبة عليه بدلالة هذه الآية.

أما السُنة فقد ثبت عند النسائي من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «**كل مسلم على مسلم محرم أخوان نصيران**»، ثم قال وهذا الشاهد: «**لا يقبل الله عز وجل من مشرك بعدما أسلم عملا، أو يفارق المشركين إلى المسلمين**» أي: إلا أن يفارق المشركين إلى المسلمين، أي إلا أن يهاجر، وبقية الأحاديث «**لا تراءى نارهما**» إلى آخره رأيت الحفاظ كالبخاري وغيره يُضعفون كل هذه الأحاديث، وإنما المعتمد في السُنة على حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

أما الإجماع فقد حكاه ابن كثير في تفسيره، والعيني في **"عمدة القاري"** وعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن كما في **"الدرر السنية"**، وغير واحد من أهل العلم، إذًا دلّ على وجوب الهجرة الكتاب والسُنة والإجماع، لكن هذا لمن لم يكن مستطيعًا إظهار دينه.

وأظهر الأقوال في ضابط إظهار الدين -والله أعلم- ما ذهب إليه الإمام الشافعي وهو أنه لا يُفتن المسلم على دينه إذا علم الكفار أنه مسلم فمن كانت حاله هكذا فإن الهجرة واجبة عليه، وللعلماء أقوال أخرى لكن هذا أظهرها من جهة الدليل- والله أعلم-.

ومما يدل على ذلك أن الصحابة في الهجرة الأولى ذهبوا إلى الحبشة ولم يعلم أهل الحبشة أنهم كانوا يسفهون دين النصارى وقولهم إن الله ثالث ثلاثة، إلا بعد أن جاء كفار قريش في٠ طلبهم، قالوا: إنهم يقولون في عيسى قولًا عظيمًا إلى آخره، وقد ذكر هذا الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي المسألة بحث ذكرته في كتاب **"قواعد ومسائل في توحيد الإلهية"**.

مسألة: من استطاع إظهار دينه فالهجرة مستحبة لا واجبة، وهذا قول الشافعية والحنابلة وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية، وخالف ابن الجوزي وقال: إن من استطاع إظهار دينه فأيضًا الهجرة واجبة عليه.

وقد يكون ابن الجوزي متمسكًا بظواهر الأحاديث النبوية، وأنها لم تُفرق بين من يستطيع إظهار دينه ومن لا يستطيع، لكن الجواب على هذا أن لفظ حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده لفظ عام يخصصه مفهوم المخالفة في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، فإن مفهوم المخالفة: أن من لم يكن مستضعفًا ليس ظالمًا لنفسه؛ إذًا ليست الهجرة واجبة عليه، ومفهوم المخالفة يُخصص اللفظ العام، فبهذا يتضح أن الحديث في حق المستضعف لا يستطيع أن يُظهر دينه.

(المتن)

(فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِبِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ - صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ - وَدِينُهُ بَاقٍ.

وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ. بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَ افْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعا﴾ [الأعراف: ١٥٨]).

(الشرح)

أما كونه ﷺ لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذر الأمة منه فيدل لذلك ما في صحيح مسلم أنه قيل لسلمان الفارسي: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخِراءة، فقال: أجل- يعني علمنا حتى الخراءة وهي هيئة الجلوس لقضاء الحاجة – ثم قال سلمان رضي الله عنه: «لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط، أو بول ...» الحديث.

قوله: إنه بُعث إلى الجن والإنس وإلى الناس كافة، هذه من خصائص دين محمد بن عبد الله ﷺ، ففي الصحيحين من حديث جابر قال ﷺ: «**وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة**»، فهذه من خصائص دينه ودعوته ﷺ.

(المتن)

(وَأَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينا﴾ [المائدة: ٣]. وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١]).

(الشرح)

ومعنى أن الدين كامل أنه لا يقبل شيئًا من الزيادة كالبدع، ولذلك قال جمع من السلف: **(من أحيا بدعة أمات سُنة)**، ومن باب التقريب الدين كالكأس الملآن تمامًا، فإذا أضيف إليه شيء خرج منه بقدر ما أضيف إليه، ووظيفة أهل العلم أن يدعوا إلى ما دعا إليه الأنبياء والمرسلون، ومن ذلك أن يُجددوا الدين وأن يُنقوه من كل شائبة ودخيل، وهذه الشوائب تختلف في وضوحها وخفائها وجلائها ودقتها لذلك يحتاج طلاب العلم وأهل العلم أن يكونوا مبرزين في معرفة أحكام الشريعة ودراسة شرع الله حتى يردوا البدع المشتبهة، ومما روى البيهقي في كتابه **"المدخل"** عن الشافعي أنه قال: **(من تعلم علمًا فليدقق فيه لئلا يضيع دقيق العلم)** فلابد أن يُجتهد في تحصيل العلم ومعرفة دقيقه وجليله، وهذا لا يحصل إلا بالجد والاجتهاد، فإن العلم

عظيم ودرجته عالية في الدنيا والآخرة، والأمور كلما علت وصعبت كانت درجتها أرفع وأجرها أكثر.

وإلا لو لم يحتج إلى مجاهدة ومشقة لتسابق الناس إليه، قال ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم وفضله"**: (**قال بعض العلماء: " من شرف العلم وفضله أن كل من نسب إليه فرح بذلك، وإن لم يكن من أهله**) إذًا هذا يدل على عظم العلم، وصدق المتنبي لما قال:

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال كلهم

إن من أعظم ما يصعب العلم -وإن كان العلم سهلًا- هو أنه يلزم منه قطع ملذات النفس لتحصيل العلم، فهو من جهة أفراده ليس صعبًا لكن الصعب الاستمرار عليه، والصعب أن إدراكه يحتاج إلى قطع ملذات النفس وهواها، والموفق من وفق لذلك، وإلا فإن النفس أمارة بالسوء، لذا كثير من الناس يصعب عليه العلم، وبعضهم قد يبتدئ لكن لا يُكمل.

ذكر قوله ﷻ: (**وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾**) هذا أمر صريح في القرآن.

(المتن)

(وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]. وقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧، ١٨]. وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ).

(الشرح)

من أسباب ذكر المصنف -والله أعلم- ما يتعلق بالبعث والحساب إلى آخر ذلك أنه قد وجد من أهل البادية في زمانه من يُنكر البعث والنشور، بسبب كثرة الجهل **لذا كرر هذا** كثيرًا في رسائله.

وقال: (وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) ثم ذكر قَوْلهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِّ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] هذا يدل على أن الحجة تقوم بالرسل لا بالعقل ولا بالفطرة كما يقول المعتزلة: بالعقل تقوم الحجة. فمن قال: إن الحجة تقوم بالعقل فسلفه المعتزلة، وجميع أهل السُنة مخالفون له وهم مجمعون على أن من كان حديث عهد بكفر أو كان من بادية بعيدة فوقع في الشرك فإنه معذور بجهله، حكى الإجماع شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى.

ومن يقول: إن الفطرة أو العقل كافٍ. فإن لازم قوله أنَّ جميع هؤلاء ليسوا معذورين، فهم خالفوا بهذا أهل السُنة ووافقوا المعتزلة.

قوله: (وأولهم نوح -عليه السلام-، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ) أما أن نوحًا أول الرسل فدلّ عليه ما في الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة الشفاعة، قال آدم عليه الصلاة والسلام: " **ائتوا نوحا، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض**". فهو أول الرسل -عليه السلام-.

أما أول الأنبياء آدم؛ فقد ثبت عند ابن حبان والطبراني عن أبي أمامة أن رجلا، قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: «**نعم، مُكلَّم**»، قال: فكم كان

بينه وبين نوح؟ قال: «**عشرة قرون**»، في هذا أن آدم نبيٌّ، فأول الأنبياء آدم، وأول الرسل نوح.

(المتن)

(وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ - عَلَيهِ السَّلاَم - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وَ افْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ).

(الشرح)

وجه الدلالة من قوله تعالى-: ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده﴾ أنه ذكر نوحًا قبل جميع الأنبياء فدلّ هذا على أنه أول الرسل، ودلالة السُنة أوضح التي تقدم ذكرها.

ثم بيّن الشيخ ما يدعو إليه كثيرًا وهو أن وظيفة الأنبياء الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك، واستدل بقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، قال: (وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ) ومعنى الكفر بالطاغوت أن يكفر بكل ما هو كفر،

فلا يصح توحيد أحد حتى يكفر بعبادتهم، ويكفر بالشرك، وهذا هو الكفر بالطاغوت وهو الكفر بالشرك والكفر بما هو كفر في الشريعة.

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمة ابن القيم في تعريفه الطاغوت، قال: **(ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع)** وهو في كتابه **"أعلام الموقعين"**، فيقول: **(ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع)**، فجعلهم أصنافًا ثلاثة، المعبود كالأصنام والأضرحة وغير ذلك، والمتبوع كالعلماء بأن يُطيعهم في تحليل ما حرّم الله فقد اتخذهم طواغيت، أو مطاع: كالأمراء بأن يُطيعهم في تحليل ما حرّم الله فقد اتخذهم طواغيت، فإذا تجاوز العبد الحد في هؤلاء صار طاغوتًا.

فإذًا ضابط الطاغوت ما تُجوز به الحد، لكن لا يُسمى من عُبد طاغوتًا إلا إذا رضي كما سيُبين الشيخ ذلك وقال جمع من أهل العلم كابن جرير في تفسيره وشيخنا العلامة محمد بن عثيمين أنه طاغوت بالنسبة إلى عابديه ولكن ليس طاغوتًا على الإطلاق إذا لم يكن راضيًا، فمن عبد عيسى يُسمى طاغوتًا بالنسبة إلى عابده، وليس ذمًا لعيسى، وإنما ذم لمن عبده، فهذه التسمية تكون بالنسبة إلى عابديه.

(المتن)

(وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إلا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ».

وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ).

(الشرح)

هذا الحديث أخرجه الترمذي وغيره من حديث معاذ، وقد بين ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" أن هذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ.

قال المصنف: (وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ) أي ليسوا محصورين في عدد معين، وإنما كل ما تُجوز به الحد، لكن قال: (وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ) أراد أن يُركز على أهمهم وهم هؤلاء الخمسة:

أولًا: قال: (إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ) جاء في حديث النهي عن لعن إبليس لكن لا يصح، وإنما الذي ثبت ما في مسلم عن أبي الدرداء أن الشيطان أراد أن يقطع

على ﷺ النبي صلاته، قال: «ألعنك بلعنة الله» ثلاثًا. فدلّ هذا على جواز لعن إبليس. قال: (إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ) لأنه أغوى بني آدم فأوقعهم في الكفر فصار طاغوتًا.

ثانيًا: وقال: (وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ) يعني بهذا القيد أن يكون راضيًا، فكل من عُبد وهو راض فهو طاغوت.

ثالثًا: قال أيضًا: (وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ) فكل من دعا الناس لعبادته فهو طاغوت، ولازم أنه يدعو أن يكون راضيًا فلا يحتاج أن يشترط الرضا بخلاف من عُبد، فقد لا يكون راضيًا لكن قد يرضى، فإن رضي فهو من رؤوس الطواغيت، وقد تقدم أن العبادة خاصة بالله، وأن صرفها لغير الله شرك أكبر.

رابعًا: قال: (وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ) إن علم الغيب في المستقبل خاص بالله، وقد يُطلع الله عليه بعض رسله، كما قال ﷻ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] وقد يكون الرسول رسولًا ملكيًا أو بشريًا، فيطلعهم على بعض علم الغيب أحيانًا لا دائمًا وليس باختيارهم وإنما إذا أراد الله ﷻ، لذا قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ [النمل: ٦٥].

تنبيه: اعتقاد أن علم الغيب في المستقبل خاص بالله لا يتنافى مع دلالة الروى والمنامات على أشياء في المستقبل قال ابن رجب: **"لا يتنافى هذا مع علم الغيب؛ وذلك أن الرؤى ظن، والذي اختص الله به ونفاه عن غيره هو علم الغيب على وجه القطع وغلبة الظن، أما مطلق الظن فإنه ليس منفيًا، لذا علم الغيب خاص بالله -سبحانه وتعالى "**.

ومثل ذلك أيضًا معرفة المستقبل عن طريق الفراسة الدينية فإن الفراسة أنواع ثلاثة:

الأول/فراسة دينية وإيمانية.

الثاني/فراسة خلقية.

الثالث/فراسة رياضية.

وقد ذكر هذه الأنواع الثلاثة ابن القيم في كتابه **"مدراج السالكين"** وابن أبي العز الحنفي في شرحه على **"الطحاوية"**.

فقد يُطلع الله على بعض المغيبات عن طريق الفراسة فيُدرك صاحبها شيئًا لا يُدركه غيره، كما ثبت في الموطأ عن أبي بكر الصديق أنه أوصى عائشة بأختيها وأخويها، قالت: (**أخواي فقد عرفتهما**) تعني عبد الرحمن

ومحمدًا، أما أختاي هي لاتعرف إلا أسماء قال: **هي التي في بطن بنت خارجة يعني زوجته حبيبة بنت خارجة وسميت البنت أم كلثوم**، وهذه فراسة دينية؛ يطلع الله عبده على شيء لا يطلع غيره عليه.

وذكر ابن القيم في **"مدارج السالكين"** أن رجلًا قال: دخلت على عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكنت رأيت امرأة في الطريق تأملت محاسنها. فقال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يدخل عليَّ أحدكم وأثر الزنا ظاهر في عينيه. فقلت: أوحي بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة.

هذا من الفراسة الدينية ظن لا تتنافى مع أن علم الغيب خاص بالله عَزَّ وَجَلَّ.

ومن الفراسة الفراسة الرياضية تكون بتجويع النفس وغير ذلك فتحصل عند أصحابها دقة وحدة في الذهن فيُبصر ويُدرك شيئًا لا يدركه غيره وتكون للمسلم والكافر.

ومن الفراسة الفراسة الخلقية، يذكر أصحاب علم الفراسة أمورًا ظنية وعلامات خلقية فيقولون: إذا كان رأس الرجل كبيرًا فهو يدل على ذكائه وهكذا.. فهذه فراسة.

قال: **(وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ)** يريد رَحِمَهُ اللَّهُ ما اشتهر في زمانه من أهل البادية أنهم يحكمون بأعرافهم وسلومهم ويرون هذا الحكم خيرًا من

حكم الله، لذا ذكر في نواقض الإسلام أن من حكم بغير ما أنزل الله على أنه أحسن من دين الله، فهو يتكلم عما اشتهر في زمانه من أهل البادية وغيرهم بأنهم يحكمون بسلومهم وأعرافهم وأمور اتفقوا عليها ويرونها أحسن من حكم الله، وهذا كفر بالإجماع.

ولا يصح أن يتمسك أحد بظاهر هذا الكلام فينسب للإمام المجدد أنه يُكفر بمطلق الحكم بغير ما أنزل الله لسببين:

السبب الأول: أن التكفير بمطلق الحكم بغير ما أنزل الله أو حتى بالقوانين الوضعية هو قول الخوارج، ذكر هذا الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **"الدمعة البازية"**، ولما سئل في مجموع فتاواه عن رأي الشيخ محمد بن إبراهيم في الحكم بغير ما أنزل الله قال: هو كقول بقية أهل السُنة لا يُكفر إلا بالاعتقاد. فنسب ذلك إلى أهل السُنة.

السبب الثاني: واقع الحال الذي تقدم ذكره.

قال: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾) وقد خرج أناس في زماننا وغالوا فيما يُسمى بالحرية تمسكًا بقوله: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وهذا من الباطل والزور؛ لأن معنى ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قيل: إنها منسوخة بآيات الجهاد وغيرها، وقيل: إنها خاصة بأهل الكتاب إذا دعوا إلى الجزية فدفعوا

الجزية، لا يلزمون بالدخول في الإسلام ويُكتفى بأخذ الجزية منهم، ذكر هذين القولين ابن كثير في تفسيره، وذكره شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتاواه.

فإذن لا يصح أن يتمسك بهذه الآية وترد جميع نصوص الشريعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى جاء من قال: لا يُلزم الناس بأن يتركوا كذا من المحرمات ولا أن يفعلوا كذا من الواجبات بحجة ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. أين هو من النصوص الكثيرة المتكاثرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟، أين هو من النصوص الكثيرة في الأمر بالجهاد في سبيل الله؟

وإنما هؤلاء مبطلون ويريدون أن يدللوا على باطلهم.

ثم مما يدل على بطلان قولهم ما ثبت عند ابن الأنباري -نسبه له ابن حجر وصححه في كتابه **"الإصابة"** -أن صبيغ بن عسل وكان سيدًا في تميم -انظر إلى منزلته- وكان يتتبع المتشابه، فأخذه عمر رضي الله عنه وضربه فلم يقل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ إن لك حقًا أن تتبع المتشابه. كلا؛ بل عمل عمر بن الخطاب بالأدلة الكثيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن حق الشريعة وحفظها مقدم على حقوق الناس.

فمن دعا إلى حرية دعا إلى لفظ مجمل، فالحرية المقبولة هي التي ضُبطت بضابط الإسلام، وبزمام الدين، وإلا نحن عبيد لله، والعبد لا يخرج عما يريد سيده، فلنا من الحرية ما جعلها لنا سيدنا ﷻ.

ثم قال: (وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إِلا اللهُ) لأن في الآية نفيًا وإثباتًا ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ فهي متضمنة للنفي والإثبات، ثم ذكر الحديث.

أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يجزي هذا الإمام المجدد عنا خيرًا؛ فوالله نحن في خير عظيم بفضل الله -عز وجل- أولًا ثم بفضل دعوة هذا الإمام المجدد، وقد انتشرت دعوته في العالم الإسلامي وشاعت بل في العالم كله، أسأل الله أن يجزي هذا الإمام المجدد خيرًا على ما قام به، وأن يجزي الإمام محمد بن سعود وذريته خيرًا على نصرتهم لهذه الدعوة المباركة.